الشهيد العربي ..

☆



يستطيع ان يكون (وثناً) يحيط نفسه بالعبادة ، ويُلين حوله الوسائد فيحيا حياة رافهة في (برج) يتأنق باسدال الستائر ، ويبدع في ابتكار اسباب العافية .

كان يستطيع ذلك كله لانه يملك من ادوات (الوثنية) هذه ما يملكه (اوثان) الحكم في كل رقعة من بلادنا التي ما تزال تؤمن بهؤلاء الاوثان وتوفر لهم ما يشتهون من تقديس ، وتدليل ، وانحناء للسمانة في « العجل » السمين .

انه من (عرق) كريم ، ومن (بيت) رفيع العماد ، ولا يخونه مع هذين مال يصطفي له الاعوان وينجر له العبدان .

ولكنه سما عن ان يكون (رجلاً) واراد ان يكون (بطلاً) .

ألغى في سبيل ذلك ذهنية (فرسان العرب اليوم !) وخرج من (وعيهما) بذهنية جديدة تفعل التضحية ولا تقولها ، وتبسم بالحياة بين ثنايا الموت .

ولو لم ينفض هذا الصقر عن جناحيه غبار الاستخذاء والمساومة والمنفعة لظل في (القصص) زرزوراً مع الزرازير .

كانت قضايانا كلما تعقدت لا يحلها الا دم (شهيد) ولا اعرف عقدة في قضايانا كلها اكثر تعقيداً من قضية فلسطين .

اذن لقد جاء الحل التاريخي لبسلم حل حديث في قضيتنا الجديدة ، اذ انحسر ميدان فلسطين عن (الشهيد) .

بهذا فكر شهيد فلسطين حين شمر عن ساعده وانحط على الموت ، وبهذا مما فلم يكن رجلاً . بل كان بطلاً .

اننا — نحن العرب — لنعرف لدم (الشهيد) سراً ادنى ما ابوح به منه ، انه في غاية من مراحل الاعداد القومي ، فليفارق المفاوضون باسم العرب اطمئنان الوادعين في الظل والماء ، فالبطولات العربية تتفتح لا في فلسطين فقط بل في ميادين العرب جماء .

والوعي اذا تفتح على هذا النحو كان الرجاء .

ولولا ذلك لخشينا ان يذهب دم الشهيد هدراً كما ذهبت دماء الشهداء من قبل في ظل « السائسين » من صانعي الاستعمار وصنائعه .

غير ان الادراك المتوهج اليوم مطمئن الى ان النصر والخذلان في فلسطين ليسا موضعيين ولا شكليين وانما هما عربيان واقعيان وذلك ما يكبر عن الانخداع بوعد كاذب .

واسمى ما في هذا الادراك ان القيادة لم تعد قاصرة على « الحكام » الذين بدأوا يشعرون بقوة الشعب ، بعدما ابطرهم رخاء الحكم الرخيص !! .

صدر الدين شرف الدين

صورة الغلاف تمثل البطل عبد القادر الحسيني رمز الشهيد العربي

بودلير عند سارتر

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

☆

نجاح المنهج الوجودي في تحليل المضمون الباطن للشخصيات القلقة مضمون منذ البداية ، لانه يقوم في اصله على فلسفة الظاهريات ، وهذه مهمتها ان تتخذ من ظواهر الحياة الروحية الباطنة — كما تتواكب في الضمير او الشعور — موضوعاً لتحليل يستنفد كل ما تنطوي عليه من دوافع واحالات تتم بين الأنا وبين الغير ، بين الذات وبين الموضوعات التي تعمل فيها . وميزة هذا التحليل النفسي الوجودي على التحليل النفسي عند فرويد او أدلر انه لا يفسر الاعلى بالادنى ، ولا يُضطر الى التأويلات المغالية مما أسرف فيه الفرويديون على انفسهم وعلى الاحوال النفسية عامة ، لان نهج التأويل خطر الى ابعد حد ، اذ هو متعدد الدلالة ، ولا يمكن ان تستقر نتائجه على قاعدة ثابتة : ومن هنا كان لكل الحقُّ في ان يشد الغطاء الى ناحيته ، فيلتاث الامر على البحث ، وبذا تلتوي على المرء السبيل . اما في التحليل الوجودي فالشخصية تؤخذ في مواقفها . اولاً مواقفها النهائية ، بالمعنى الذي لهذا اللفظ Grenzsituationen عند يسبرز ، وهي تلك التي تفرض على الموجود فرضاً فلا يملك لها دفعاً ولا تغييراً : مثل الميلاد وما يتصل به من مكان يولد المرء فيه وابوين نبت عنهما وزمن تاريخي وقع فيه ، ومثل الموت وما يرتبط به كذلك . وثانياً مواقفها اللانهائية ، ان صح هذا التعبير ، اي تلك التي تتولد من انواع السلوك التي يجري عليها المرء في حياته ، وفي هذه يكون مجال الحرية ، وفيها تأخذ فكرة الاحالة المتبادلة Intentionalitat كل مدلولها : فالضمير النفسي او الشعور يرمي الى الموضوع ، والموضوع لا يقوم الا بهذه الاحالة اليه لان وجوده بالنسبة الى الذات ، فهو بالتالي « من أجل » هذه الذات ، اي اداة لها . والتحليل لشخصية ما يجب ان تحسب حساب هذه المواقف الروحية بنوعيها ، وبخاصة المواقف اللانهائية ، لان فيها يقع الاختيار ، والاختيار يكاد ان يكون هو المصير نفسه او الرسالة التي يحققها المرء في الوجود . حقاً ، ان هذا المصير فيه جانب للاختيار الحر ، وفيه جانب كذلك للمواقف النهائية ، ومن هذا المزيج معاً تتكون المصائر . بيد انه لما كانت المواقف النهائية خطاً مفروضاً ، فان تميز الشخصية لا يقع بواسطتها ، بل بالاختيار .

وآية هذا النجاح الذي صادفه المنهج الوجودي هذه الدراسات العميقة كل العمق التي أبرزها الفلاسفة الوجوديون . وعلى رأسها تلك التي افتن فيها كارل يسبرز Karl Jaspers وأهمها « نفسانية النظرات الكونية » (سنة ١٩١٤) وفيه دراسات عامة عن النظرات الفلسفية العامة ، ومن خيرها الصفحات التي كرسها لكيركجورد ، ثم « استرندبرج وفان جوخ » وفيه قدم صورتين دقيقتين للكاتب المسرحي والفنان المبدع (برنسنة ١٩٢٢ ، ط برلين سنة ١٩٢٦) ، ولكنه بلغ القمة في استقراء الدقائق الروحية والغوص على غرائب الاحوال الوجودية في دراسته الضخمة عن نيتشه بعنوان : « نيتشه : مدخل الى فهم تفلسفه » (برلين سنة ١٩٣٦) ، وفيه كشف باستقصاء لاول مرة عن المعنى الوجودي العميق في حياة نيتشه وفلسفته ، وطبق منهج التحليل الوجودي

الى ابعد حد استطاعه . فتبدت شخصية نيتشه وافكاره في فيض من النور . وبهذا استطاع ان يستخلص هذه الروح الشاردة بكل صفائها ، فأنقذها من تهاويل أطباء النفس المخرقين أمثال بودخ Podach ، ويسبرز أقدر الناس على الدفاع عن نيتشه في هذا الباب ، لانه هو من كبار المشتغلين بعلم النفس المرضي او علم الامراض النفسية ، كما يشهد بذلك كتابه الذي لا تزال له قيمته بالرغم من قدمه وهو « علم الامراض النفسية العام » (برلين سنة ١٩١٣) ، وله ترجمة الى الفرنسية في مجموعة الفلسفة المعاصرة ، عند الناشر ألكان Alcan) ، وقد كان اولئك الاطباء يزعمون انهم بمخاريقهم التي لا تتجاوز همهمات مضطربة من الاصطلاحات العلمية ان يحللوا نيتشه فيردوا أمره كله الى احوال مرضية خالصة ! فجاء يسبرز وطامن من هذه الادعاءات الرخيصة ، وقدم لنا على اساس التحليل النفسي الوجودي ادق صورة حتى الآن تفهم منها شخصية نيتشه .

ويلوح ان جان بول سارتر قد حاول هو الآخر ان يصنع — في كتابه عن بودلير[1] الذي نريد ان نتحدث عنه الآن — صنيع يسبرز عن نيتشه . وما أقرب الشبه بين حظ كليهما : نيتشه وبودلير من جانب النقاد والمؤرخين ! كلاهما تناوشته رماح علم نفس الامراض فلقي بودلير من الدكتور لافارج ما لقيه نيتشه من بودخ فعولج كلاهما على انه حالة مرضية . وما اقرب الشبه كذلك بين كليهما من حيث المدلول الوجودي : فنيتشه فيلسوف وجودي بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، لا يقل مكانة في هذا عن كيركجورد وان تناقضت بينهما نقاط الابتداء والانتهاء ، ودراسة يسبرز لكل من كيركجورد ونيتشه — في محاضرته الاولى بعنوان « اصول الموقف الفلسفي الحالي : المعنى التاريخي لكيركجورد ونيتشه » من جملة المحاضرات الخمس التي القاها يسبرز بدعوة من جامعة جرونتجن وجمعها في كتاب بعنوان : « العقل والوجود » Veanunft und Existenz — تقول ان هذه الدراسة تكشف بكل وضوح عن الشبه العميق بين كل من كيركجورد ونيتشه من حيث المدلول الوجودي . أما عن بودلير فقد قدر لنا ان نتحدث عنه بصورة اجمالية بوصفه شاعراً وجودياً في المحاضرة التي ألقيناها عن « فن الشعر الوجودي » (في كتابنا « الانسانية والوجودية في الفكر العربي » ، القاهرة سنة ١٩٤٧ ، ص ١٢٠ — ص ١٢٣)

فأوضحنا بالامثلة المأخوذة من شعر بودلير كيف أنه تطرق الى المقولات الرئيسية في التحليل الوجودي الآتية ، وقلنا بالحرف الواحد : « نستطيع ان نعد « أزهار الشر » أكمل نموذج للشعر الوجودي . فان ما يميز معالجة بودلير لهذه الموضوعات (الخطيئة ، الندم ، الموت ، الملال الخ) هو انه اتخذها حالات وجودية ذات دلالة وجودية ، لا على انها أحوال نفسية ، وانه ضمها كلها ووحد ما بينها حتى استطاع ان يجعلها فلسفة وجودية واضحة المعالم . وان دراسة كاملة لها من هذه الناحية ، أعني على ضوء المذهب الوجودي ، الكفيلة بأن ترتفع بها الى أعلى درجات الشعر » (ص ١٢٣) .

هذا ما قلناه ولما ينشر سارتر بعد دراسته عن بودلير (وقد نشرها أولاً متوالية في اعداد مجلة Les Temps Modernes سنة ١٩٤٧) . بيد أن سارتر في هذه الدراسة لم يقصد الى ما دعونا اليه من تحليل شعر بودلير بوصفه شعراً وجودياً ، انما استهدف حياته اعتماداً على الوثائق النثرية الشخصية التي خلفها بودلير ، وأهمها الرسائل المتبادلة بينه وبين أمه والوصي عليه أنصل Ancelle ، ثم على أثريه الشخصيين الممتازين : « قلبي عارياً » Mon cœur mis à nu و « أبراج » Fusées ، فضلاً عن النوادر والاخبار المتناثرة التي تروى عنه .

وقبل ان ندلي برأينا في نهج سارتر هذا يحسن بنا ان نعرض الملامح الرئيسية لهذه الدراسة التي استهلها بهذا المثل : « لم يظفر بالحياة التي كان يستحقها » ، ورأى فيه ايضاحاً رائعاً لحياة بودلير . فبودلير لم يكن يستحق هذه الأم ، وهذا الضيق المتواصل ، وهذا المجلس الذي أرهقه ، مجلس الاسرة ، وهذه الخليلة الجشعة ، ولا داء الزهري ، ولا خصوصاً هذه النهاية المبكرة لحياته . لكن بودلير مع ذلك لم يعمل شيئاً في سبيل درء بلايا المصير هذه ، ومن هنا كان ثائراً عليها في نفسه ، خاضعاً لها في الواقع في مجرى حياته ، ومن هنا التناقض الفاضح عنده : فهو يطلب الشذوذ ، ومع ذلك فقد استمسك بأشد الاخلاق تفاهة ودقة ، وهو ينشد التدقيق raffinement ، ومع هذا يغشى أدنأ العاهرات ، وهو متوحد ، لكنه يخشى الوحدة الى درجة مريعة ، ويصبو الى تكوين اسرة ، وهو داعية النشاط ، بيد انه لا يقوى على الانتظام في عمل ، وهو طالما تغنى بالرحلات ، ونشد الاغتراب ، غير انه ظل يتردد ستة أشهر قبل ان يرحل الى هونفلير (وما أقربها من باريس حيث أقام!) والرحلة الوحيدة التي قام بها — وهي رحلته الى جزيرة موريس

(1) Jean Paul Sartre : Baudelaire, éd. Gallimard, Paris, 4e trimestre 1947

قد تبدت له عذاباً وأي عذاب. وهكذا، وهكذا، كان بودلير نسيجاً من المتناقضات بين ما يدعو اليه وبين ما يفعله . فكيف اختار بودلير نفسه ؟

بدأ هذا الاختيار لما ان تزوجت امه للمرة الثانية فحرم بودلير من حضن امه وقد كان مغموراً بعطفها، وكان لا يرى ان لها الحق في الاقتران مرة ثانية، طالما كان بودلير موجوداً ! لهذا جاء الاقتران بمثابة « صدع » fêlure في حياة بودلير، ابتداء منه بدأ يشعر لاول مرة بأنه «آخر»: انساناً آخر غير امه وغير خلانه: « أنا انسان آخر ؟ إنسان غيركم يا من تعذبونني ؟ أجل ؟ تستطيعون ان تؤذوني في جسدي ، لكن لا في « غيريتي » (ص٢٣ – ص ٢٤) . وفي هذا الشعور كبرياء ، لكنها كبرياء خاوية تتغذى على نفسها ، فتستهلك نفسها بنفس الفعل الذي به تؤكد ذاتها . وفي هذا الشعور كذلك نرجسية ، اي شعور بانطواء على نفسه ليرى فيها مرآة وجوده، فينظر نفسه في نفسه ، ولا يرى الدنيا الا في نفسه، لكن ماذا يرى ؟ انه لا يشاهد غير موكب طويل ممل لاحواله الرتيبة . هنالك يدرك فراغ ذاته فيوغل سكينه في احشائه : « انا الجرح والسكين ، والفريسة والجلاد » . هو جلاد نفسه والآخرون كذلك جلادون له ، فيحس بأنه لا فائدة فيه : «اني لاقتل نفسي ـ هكذا قال في كتابه المشهور سنة ١٨٤٥ – اذ لا فائدة لي عند غيري، وأنا خطر على نفسي » . وهو السكين – اعني هذه النظرة التأملية التي تتوالى من تحتها الامواج المتدفقة في الشعور الواعي ، وهو الجرح – أعني هذه المواكب من الامواج الحزينة فتراه تتواثب المشروعات في ذهنه : مشروعات ادبية وغير ادبية تتصل بمعاشه – لكن في غير جدوى، لانها افعال مجانية، ان صح هذا التعبير ، تدمر كيانه اولى من أن تقويه . لان ضرورة الفعل تبدو له ثقيلة : فهو يثور على (انصل) ويود لو ضربه لينتقم لنفسه، ويعزم على هذا ثم ينسى عزمه بعد حين قليل وكأنه لم يخطر بباله ! ولذا « فان الانسان البودليري هو بمثابة نقطة التداخل بين حركتين متعارضتين ، لكنهما مع ذلك هاربتان من المركز : احداهما تتجه الى اعلى ، والاخرى الى اسفل » (ص٤٤) . وبالجملة فبودلير انسان يشعر بنفسه هاوية : يتملكه الكبرياء والملال والدوار ، لا نظير له ، ولا وجه للاتصال به، غير مخلوق ولا مفهوم، معدوم الفائدة ، مهجور في وحدة مطلقة ، يحمل عبئه وحده ، مقضي عليه بأن يبرر وحده وجود نفسه ، فلا يظفر بتبرير ، هو هاوية لاقاع لها ولا قرار ، سر في وضح النهار ، ومجهول في المعرفة الكاملة .

يعد نفسه بالقناعة والعفة والعمل والاحسان ، لكنه لا يحقق من هذا شيئاً . ويشعر بأنه مخطيء آثم ، آثم « من كل وجه » ، فيخضع لقضاته، ولكنه يرى فيهم جلادين سرعان ما يثور عليهم، تلك الثورة المذعنة دائماً . ولم يكن لديه من الشجاعة ما يدعوه الى ان يتخذ من خطاياه هذه مذهباً، لانه ليس من اولئك الذين يحسون في انفسهم القدرة على ان يكونوا مشرعين لانفسهم ولغيرهم، بل لا بد له أن يتلقى شرعة القيم من غيره ، وفي هذا افلاس كامل في نظر سارتر ، وقد يكون السبب فيه تأثير التربية المسيحية على بودلير ، لكن هذا وحده لا يكفي لتبرير موقفه ، فان أندريه جيد هو الآخر تلقى تربية مسيحية عميقة ، ومع ذلك فقد اخذ جانب شذوذه الجنسي واطرح جانب الاخلاق المتعارفة ودمر هذه شيئاً فشيئاً ، سائراً قدماً نحو شرعة اخلاقه هو الخاصة ، فبذل كل جهده في وضع شرعة من القيم جديدة . اما بودلير – وهو الشاعر والمبدع – فاستسلم للعرف واستقال من قوته المبدعة ؛ وهكذا كان موقفه بالنسبة الى كل من شعر انه فريستهم : من قوانين واحياء ، يخشاهم ويسلم اليهم قياده ، وكان الواجب عليه ان ينبذهم وشرعاتهم المبتذلة الممجوجة .

على انه في غرامياته كذلك قد نشد في حبيباته ان يكن جلادات له او قاضيات يقضين في امره ، فكان يحلم بالعيش في أكناف ماردة شابة كما يحيا هر شهواني عند اقدام ملكة : وكأنه اذن يريد من معشوقاته ان ينظرن اليه كأنه حيوان منزلي أليف يحيا برخاوة وشهوة في التذاذ مرضي بصولة بيئة ارستقراطية تستذله .

وهؤلاء واولئك لا يريد بودلير ان يضع احكامهم موضع الشك ، ولا ان يمتحن مبدأ الخير الذي باسمه يزعمون انهم يصدرون هذه الاحكام : بل هنالك في نظره خير مطلق ، ليس الا نظرة تلقيها عليه « الرئيسة » (مدام ساباتييه Mme. Sabatier) وكفاه حاكماً ! وهكذا ينظر الى الله العادل ، الله الذي لا يرحم ، الذي يعاقب ولكن عقابه مبارك ، ينظر اليه وكأنه هو الجنرال اوبيك Aupick زوج امه الذي زعم محللو بودلير نفسانياً في الصلة بينه وبين بودلير ابعد المزاعم . ومجلس الاسرة كذلك كان مصدراً لألوان من عذاب بودلير ، « لكن هذا المولع بالسوط والقضاة كانت المحكمة ضرورية لديه لانها ترضي حاجة في نفسه »(ص٤٧) .

وهنا يتدخل بُعدٌ جديد يزيد في تعقيد الاحوال النفسية عند بودلير الا وهو الحرية، لكنها الحرية التي ترسف في قيود التقاليد والاخلاق المتعارفة، انها الحرية التي لا تجد نفسها الا في التوبة، في تأنيب الضمير، لانها تسبح في بحر الخطيئة.

وهو في أخذه باللذة لم يكن يسعى الى اللذة المباشرة بل الى البعيدة: الرؤية، اللمس، استرواح جسد المرأة؛ فكان يطلب اذن اللذة الرمزية، لا تلك التي تنبعث من الغوص في اعماق الجسد، ومن هنا كان ينظر الى الخطيئة على انها في الشهوة الجنسية: اما ما عداها مثل الحسد والوضاعة والخيانة فلم يدخلها في حساب الخطيئة.

وبالجملة، لم يكن يود ان يكون ذاتاً، بل ان يكون موضوعاً، شيئاً، أداة فحسب، على حد تعبير الوجوديين. وكانت حياته اضطهاداً ذاتياً وعقاباً لنفسه. فأفعاله كلها تهدف الى هذه الغاية. ان ينال العقاب لنفسه من نفسه: فهو الذي سعى الى ان يكون له مجلس اسرة وصياً عليه، وهو الذي سعى وراء ادانة قصائده، وهو الذي نشد فشله في الترشيح لكرسي في الاكاديمية الفرنسية، وكان حريصاً على ان يصير بغيضاً عند الناس، ينفرون منه ويلعنونه: فكنت تراه يرسل الشائعات التي تنعي على نفسه بالفواحش وتعصب رأسه بالعار الذي لا يمحى: من اتهام نفسه بأحقر انواع الشذوذ الجنسي، وبانه قتل اباه. وانه ليمجد هذا كله فيقول في «امواج» «اذا قدر لي ان اثير الاشمئزاز والفزع الكليين، فقد ظفرت بالوحدة». ومفتاح هذه الرغبة في تنفير الناس منه هو الميل الى الاضطهاد او العقاب الذاتي، مما كان يحمله على السعي بنفسه نحو حتفه طائعاً مختاراً حتى ليمكن ان يقال مثلاً ان اصابته بداء الزهري قد قصد هو اليها قصداً، او في القليل هيأ لها كلّ الاسباب.

وهذا ايضاً يفسر تمجيد بودلير الالم والعذاب، مما عده النقاد ذوو النزعة الكاثوليكية بمثابة آية على روح دينية مسيحية تشيع فيه، والحق ان ذلك انما كان نتيجة لفكرة العقاب الذاتي الذي فرضه على نفسه مستعذباً لها العذاب. والغرض من هذا التألم ان يكون بمثابة تخفيف لخطيئة، وهو يدل رمزياً على تجاوز الخير الى نطاق الحرية، بمعنى انه اتخذه بمثابة شافع له في عالم القيم الذي فرض على نفسه الاحتكام اليه، ومن ناحية اخرى هو يرى في الالم نوعاً من تحقيق الكبرياء. ومهمته ان يعبر عن عدم الرضا، وعدم الرضا عند بودلير ناشيء من شعوره بالعلو الانساني، لا لانه أناب الى السماء.

ويفيض سارتر في بيان خاصية ظاهرة في شخصية بودلير وهي كراهيته للطبيعة وحبه للعهد: في الطبيعة والمرأة والاحوال النفسية، ويمضي منها الى تحليل معنى «التأنق» dandysme عند بودلير وما ينطوي عليه من دفاع ضد الآخرين، اذ فيه يرى نفسه ويقرأ ذاته في عيون الغير ويستمتع في الوهم بهذه الصورة الخيالية: فخوفاً من ان يُرى، نجده يفرض نفسه على الانظار، وبهذا يصرفها عنه.

وبهذا يقدم لنا صورة اجمالية بارزة الاسارير عن بودلير: صورة رسمها بودلير لنفسه، لانه اختار نفسه على هذا النحو، وكان اختياره هذا هو مصيره. والناظر اليها يجدها تتسم بالقسوة على بودلير في غير قليل من ملامحها. ومرجع هذه القسوة في نظرنا الى ان سارتر قد شاء ان يفهم بودلير بدون شعره، أجل، انه كان يستشهد بهذا الشعر في بعض المواضع، ولكن ذلك كان من اجل ايضاح ما يذهب اليه، انما كان عليه ان يمزج مزجاً كاملاً بين «ازهار الشر» وبين الوثائق الشخصية التي اعتمد عليها، وان يفهم هذه على ضوء الاولى، لا العكس كما فعل. ولو طبقنا نفس المنهج الذي استعانه سارتر على نيتشه لكانت النتيجة ان نفعل ما فعل امثال ماكس نورداو وبودخ بالنسبة الى نيتشه، او لومبروزو بالنسبة الى شوبنهور. ذلك ان الحياة الواقعية شيء، والحياة الوجودية شيء آخر: الاولى خاضعة للابتذال اليومي، متلطخة بأدران عالم الموضوعات والادوات، ولا حساب لها في تقويم الحياة الوجودية ونعني بها التجارب الحية الوجدانية التي تحققها في مملكة الروح، بغض النظر عن انها تحققت او لم يتحقق منها شيء في عالم الواقع، في – الوجود – في العالم. وهكذا كان يجب ان ينظر الى بودلير: فيدرس من خلال قصائده الشعرية والنثرية، ومنها نستخلص التجارب الحية التي حيّها، وبهذا نفهم الحياة الوجودية التي مثّلها. والمهم دائماً في هذا ليس ما حققه المرء في واقع الدنيا، بل ما عاناه روحياً في الوجود الحقيقي الذي ابتدعه لنفسه وتصور حياته تجول فيه وذاته تلبس معانيه. اما مسألة التوافق بين النوازع الروحية وبين المسالك الواقعية فلا تدخل في التحليل الوجودي لشخصية ما من الشخصيات الروحية القلقة الكبرى.

لهذا لا تزال المهمة التي نبهنا اليها – وهي دراسة «ازهار الشر» بوصفها نموذجاً للشعر الوجودي، وبالتالي فهم شخصية صاحبها على اساس هذا المنهج – نقول لا تزال هذه المهمة في اشد الحاجة الى من يقوم بها. وكتاب سارتر هذا لم ينهض بها، بالرغم مما ملئ به من نظرات نافذة، ولوامع ثاقبة، وملاحظات دقيقة، وتحليلات طالما قاربت اهدافها.

عبد الرحمن بدوي

جنة الشوق

مرآة

قال التلميذ الفتى لاستاذه الشيخ :

– لماذا المرآة كالمرأة اسماً . والمرأة كالمرآة رسماً ، وكلاهما تشابه حرفاً ولفظاً . ؟

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :

– لان الصلة بين الاثنين واحدة ، والصفة بين الوجهين متشابهة . . هذا ترتسم عليه المرئيات ، وهذا تتكسر عليه النظرات ، وكلاهما من زجاج او بلور ، ولكنه زجاج يكسره الهواء ويحطمه الهوى .

فناء

قال التلميذ الفتى لاستاذه الشيخ :

– لماذا الشذى في عطفيها ، والسنا في عينيهـا ، والفردوس في رحيق عذب بين ثنايا من لؤلؤ على نكهة من عقيق .؟ .

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :

– وكذلك يا بني افاعي الفردوس ، حرير المخمل في عطفيها ، وثمين الجوهر في عينيها ، وبين رقيقها ودقيقها ، ثنايـا جمعت فكانت منايا ، على نكهة من نهاية او قل من فناء .

نبع

قال التلميذ الفتى لاستاذه الشيخ :

– ماذا تقول في ضحى كان الدجى له لثام ، وليل كأن البدر على رأسه اقام ، وبين الضحى والدجى ، كالذي بين النهى والدنا ، افراح واتراح . ؟ .

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :

– اما الدجى فغدائر ، والضحى فغدير . تلك سحاء وهذا وضاء . تلك تنسدل على النهر ، وهذا على النحر .

اما الذي بين الضحى والدجى ، وهو كالذي بين النهى والدنا افراح واتراح ، فذلك يا بني هو النبع حلوه كمره ، ومره كحلوه ، ان رأيته استهواك ، وان وردته اضناك ، والخير في الاثنين هواه وضناه . ألم تر الى الألم كيف يجمله الأمل .

عطاء

قال التلميذ الفتى لاستاذه الشيخ .

– قلت لي دائماً وتقول ، انها خلقته . ولم تقل لي ابداً ومـا قلت انه خلقها .

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :

– ذلك لانها تعطي دائماً يا بني ولا تأخذ ابداً .

قال التلميذ الفتى وكان اريباً .

– ولكني استطيع ان اعطي .؟ .

قال الاستاذ الشيخ وكان اديباً .

– لانك تستطيع ان تأخذ .

بين بين

قال التلميذ الفتى لاستاذه الشيخ .

– لماذا العبير في مشارفها ، والنمير في مراشفهـا ، وبين الفم والسن كالذي بين الكأس والدن ، كلاهما سكرى وسكران .؟ .

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :

– اما الذي بين البين والبين ، فهو كالذي بين البين والأين ، كلاهما قدر وقضاء ، اما العبير فاغراء ، واما النمير فغناء .

دنيا

قال التلميذ الفتى لاستاذه الشيخ ناهضاً .

– لماذا عذب ظلمها كعذاب ظُلمها . كلما نضب او فتر ، قال وقالت هل من مزيد .؟ .

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى .

– لانها كالدنيا ، ان آذاك امسها ، اغراك غدها ، وكلما اقبل نهار وادبر ليل قالت وقلنا هل من جديد .

وكانت صلاة العشاء قد اذنت فانصرف الاستاذ الشيخ الى المسجد وهو يدعو لتلميذه الفتى بالتوفيق والنجح .

القاهرة — امين يوسف غراب

في سماء غاندي

بقلم عبد اللطيف شرارة

☆

٣ ـ غاندي البطل

الظاهرة البارزة في تاريخ النوع الانساني ، منذ تكون التاريخ الى يومنا هذا ، هي تفوق أفراد على الآخرين ، وامتيازهم عن عامة البشر بضروب من الصفات والسجايا والمواهب ، جعلتهم « غير ناس » في نظر الناس . وكان لهذه الظاهرة الاثر الفعال الاول في بناء الحضارة ، وتوجيه الفعاليات ، وتربية الاخلاق ، ونقل الانسانية بجملتها من حالة الى حالة ، في كل عصر ومصر .

اما اثرها في المجتمعات البشرية ، البدائية منها والمتطورة على السواء ، فانه ينحصر في فكرة واحدة نشأت منذ اقدم العصور ، واتخذت اشكالا متعددة وألواناً مختلفة ، اذ كانت ، ولا تزال تختلف وتتعدد باختلاف العقليات وتعددها ، الا وهي « تصنيف » الناس ، وتقسيمهم الى طبقات ، ثم تصنيف الاشخاص ، كل بما ينزع اليه ويصدر عنه من احوال وأعمال وأقوال . ففي العهد الوثني القديم ، الموغل في التقدم ، كان « الآلهة » ، حيث نجد لكل شيء إلهاً كما هي الحال عند اليونان والرومان ، وكان المتفوق من رجالهم ، في حقل من حقول الحياة العامة ، يصل به شعوره بالتفوق الى ادعاء الالوهة ، كما حدث للاسكندر المكدوني .

كان ذلك قبل ان ينتشر الساميون في حوض البحر المتوسط ، فلما طغت الموجات السامية واحتكت الشعوب بعضها ببعض ، عن طريق الغزوات والحروب ، اطمأن مستوى الطموح في النبوة ، فكان انبياء بني اسرائيل الذين يملأ التوارة حديثهم ، وانهم أفراد سموا بأفكارهم واخلاقهم على غيرهم من أبناء بيئتهم ، وأقاموا بجهودهم الشخصية نظماً جديدة للحياتين : العامة والخاصة .

دامت النبوة مثلاً اعلى في اكثر المجتمعات السامية حتى القرن السابع للميلاد ، حيث ظهر ، في جزيرة العرب ، آخر نبي سامي ، واقفل الباب . باب النبوة من بعده .

غير ان انتشار التوحيد على يد موسى وعيسى ومحمد ، والصراع الذي احدثته أفكارهم بين المؤمنين في معسكر ، والوثنيين في معسكر آخر ، في جميع اقطار العالم المعروفة آنئذ ، أمران حوّلا الفكر البشري عن الدين وطرائقه الفكرية ، الى الواقع الانساني المحض ، وكان هذا التحول الفكري يجري ببطء ، حتى نما وتكامل وبلغ غايته في القرون الاخيرة ، فاختفى الآلهة والانبياء كأحياء اجتماعيين واقعيين ، واستعاض الناس عن هذين الصنفين بـ « الابطال » .

والبطولة في اساسها فكرة وثنية يونانية ، يرجع نسبها الى عهد كان يعتقد الاغريق فيه ان البطل كائن يولد من زواج إله بامرأة او إلاهة برجل ، فالابطال أبناء آلهة او انصاف آلهة - وجلهم ، ان لم يكونوا كلهم ، اشتهروا بما أدوه من خدمات مهمة كان لها تأثيرها العميق في حياة الناس من انشاء مدنية ، الى الظفر في معركة ، الى تشييد معبد او مسرح ، وما اشبه .

هذا هو اصل البطولة ، ولكن مفهومها اختلف . ولكم يكون ممتعاً أن نتتبع مفهوماتها المتغايرة على كرّ العصور ، في جميع الاقطار عند مفكري العالم ، فقد مرت بأدوار شائقة ، وتعاقبت عليها أدمغة كبيرة راجحة ، لونتها وصورتها بأبدع الصور وازينها ، وظلت مع ذلك . موضع خلاف :

فهي تتلخص عند رجال الدين بقول ذلك الشاعر العربي :

ليس من يقطع طرقاً بطلاً   انما من يتقي الله البطل

ولا خلاف في ذلك بين ان يكون رجل الدين نصرانياً او مسلماً او بوذياً ، لان البطولة في حيز الروح الديني، لا تتعدى مجاهدة النفس والتغلب على نوازع الشر فيها ابتغاء مرضاة الله، فرضا الله، غاية كل عمل يعمله المتدين ، وليست « التقوى » غير هذه المراقبة الواعية التي يقوم بها المؤمن على نفسه كي لا تشذ عن القواعد المرسومة لها في الكتب المقدسة ، ان في العبادات وان في المعاملات .

وهي عند الستوئيكيين القدامى (رأبيكتاتوس ، زينون ، شيشرون ، ماركوس أوريلوس) ضرب من « الصبر » لا اقل ولا اكثر ، فالبطل هو الذي يصبر على الآلام ، ويتحمل الكوارث والاحزان بجلد هادىء صارم، ثم لا يسترسل مع شهوة، ولا تستنزله عن كبريائه رغبة ، يقبل على الموت ويتقبله ببرودة ، كما يتلقى اوصاب الحياة واشجانها بجلد واحتقار، فرأسه ابداً في العلاء، ونفسه من وجوده في فراغ .. لا يشغلها غير الكبرياء ، ولا تحفل بما هو غير الكبرياء .

وهي عند كرلايل محور التاريخ البشري ، فان « كل ما نراه واقفاً في هذا العالم ، ان هو الا نتيجة مادية خارجية ، وتحقيق عملي للافكار التي راودت الرجال العظام » . بيد ان هؤلاء الرجال العظام او الابطال، تجمعهم على اختلاف ألوانهم واجناسهم واعمالهم ومآتيهم ، تجمعهم صفتان جوهريتان : الصدق والحماسة ، فليست البطولة — في نظر كرلايل — غير هاتين المزيتين ! .

هي عند نيتشه فلسفة لامعنى للحياة اذا لم تسخر لتطبيقها، ولا مبرر للبقاء الا بالعمل على الوصول الى اعلى ذراها (السوبرمان) . وجوهرها العميق هو « ارادة القوة » ، فكل عاطفة او نزعة او فكرة ترد المرء الى حالة من الضعف تفقده كل احترام عند نيتشه، فهو يقول مثلاً عن الرحمة : « الرحمة هي العدوة الطبيعية للبطولة . كونوا على ثقة ان الذي اخترعها لم يكن بطلاً بحال من الاحوال » .

وهي عند امرسون قوة « تتمثل » بها جميع القوى الانسانية ، وهي تظهر في جبروت الارادة الحديدية الصاعقة التي تخضع للناس وتصعق كبرياء جموعهم وتملك عليهم اقطار اعجابهم ، فينصاعون اليها يخدمون صاحبها ويسخرون حيواتهم لمعونته كما هو الشأن في نابليون القائد ، وغوته الكاتب ، وشكسبير الشاعر ، ومونتان المشكك وسويد نبرج المتصوف .

تلك هي اشهر النظريات في البطولة ، ولكن النظرية الهندية فيها تبلغ من العمق والطرافة والدقة درجة لا اخال ان احداً بلغها او ادركها او فكر بما يشبهها من ابناء الشرق العربي او اهل أوربا ، قديماً او حديثاً ، لانها ضرب من التصوف العملي في حب الحياة وتحقيق أهدافها الاولية الثلاثة : الفضيلة، والمجد، والمتعة[1] ، حتى اذا اكتملت لفرد من الافراد ، هجر الحياة والناس ، وعاود الجهاد في اكتشاف الحقيقة، في سبيل الحقيقة ، من اجل نشر الحقيقة؟ وبهذا كله يكون بطلاً . فهي — كما ترى — بطولة فلسفية تبدأ بالتصوف الدنيوي ، وتنتهي بالتصوف الديني ، ثم انها وحدة لا تتجزأ ، فلا يصح الاخذ بطرف واحد من طرفيها، ليتمكن الانسان منها ! .

وقد يكون في حديث « بورون داس » الذي رواه الشاعر الانكليزي رديار كبلنغ ، ما يقرب للذهن صورة البطل الهندي ، وينير أجواءها :

تقع في الشمال الشرقي من الهند ، على محاذاة بورما ، ولاية شبه مستقلة ، اي انها لم تكن تخضع لبريطانيا مباشرة، نشأ في هذه الولاية أمير لم يكد يبلغ العشرين من سنيه ، حتى أتم دراسته ، واصبح مرشحاً ، بحكم الوراثة ، لتولي رئاسة الوزارة . ولكن هذا الشاب الرئيس لا يجهل وجود انكلترا ، فقرر ان يذهب الى لندن ، الى اكسفورد ، وحتى الى كمبردج ، رغبة منه في تحصيل الحكمة الغربية ، مما افضى به الى خسران مركزه الاجتماعي ، واخراجه من طبقة البراهمان الشريفة ، لان كل من يعبر « الماء الاسود » يخسر مركزه في الهند ، ولكن بورون داس آثر المعرفة على الرئاسة ولم يندم ، اذ ادرك ان العلم الذي يفيد الانكليزي ، اولى فأولى ان يفيد الهندي .

ولما أنهى دراسته الجامعية ، وأظهر تفوقاً غير عادي في جميع المعارف والفنون ، أصبح صديقاً حميماً لعدد كبير من نواب الملك ، وقواد الجيش ، وكهنة المسيحيين ، واساتذة الطب ، ورواد الهند الاجانب ، ثم اخذ يبذل المنح المدرسية بسخاء للطلاب الذين يدرسون الطب والصناعة ، وينشئون المستشفيات والمعامل الحديثة في بلادهم الهندية ، بل مارس الصحافة باللغة الانكليزية ، يكتب وينور الجالية الهندية في لندن ، بما حصل له من ثقافة في جميع شؤونها

---

(١) للحياة في نظر الفلاسفة الهنود ، ثلاث غايات : دارما (الواجب ، الدين ، الفضيلة) . آرتا (الثروة ، المركز الاجتماعي ، المجد) وكاما (الشهوة ، المتعة ، الحب) وأرقاها الاخير .

الفكرية والاجتماعية، حتى نال من الشهادات والبراءات ما لا قِبَلَ لاحد بعده . وكانت لندن بما فيها ومن فيها تصيح حين يذكر اسمه : « هذا هو النديم الامثل الذي قدم من الهند ! » .

وعاد بورون داس الى عاصمة ملكه فجاء نائب الملك بنفسه لزيارته وتهنئته ، وقدّم له « صليب الهند » الماسي ، ولأول مرة يقدم هذا الوسام من الماس ، فكان أن ألقى بورون داس خطاباً رائعاً لم يحسن نائب الملك الاجابة عليه بفكرته ولا ببيانه .

بعد ثمانية ايام اختفى بورون داس عن الانظـار ، وسجلت وفاته في سجلات الدولة ، ورجعت اوسمته الى حاكم محلا وتسلم رئاسة الوزارة شخص آخر . ولكن كهنة الهند وحدهم يعلمون مقره ، فقد حمل بورون داس كشكوله ولبس اسماله وطاف يسأل الناس ان يقدموا له طعامه ، وذهب الى الجبال ، الى الغابات ، الى الوديان ، الى الحقول يبحث عن « الحقيقة » . ذهب يبحث عن الحقيقة ، تاركاً قصوره ، وامجـاده ، وخدمه وعبيده حتى انتهى به المطاف في جبال حملايا، حيث قضى هناك . . قضى وهو يتأمل ! هذا بطل هندي ! .

وهذي هي سيرة بوذا نفسه ، فقد كان بوذا من اشراف قومه ، وكانت ولاية العهد له ، فهو ملك غير متوج ، وكان متزوجاً من امرأة عرفت انها آية من آيات الجمال ، وله منها ولد ذكر ، وكان سعيداً بها وهي سعيدة به ، نهض ذات ليلة من نومه ، وقبّل زوجته وولده القبلة الاخيرة ، وحمل كشكوله وطاف في البراري يبحث عن « طريق » للخلاص من الالم . وكان ان اعطى العالم تلك الفلسفة الهائلة التي ما تزال الى اليوم حيرة العقول ومنهل القرائح .

اما غاندي فهذي هي اصول عبقريته ، او هذي هي اصول بطولته ، في بوذا ، في بورون داس ، في ملاحم الهند الشهيرة : مهابهاراتا وراماياتا اخذ عنها وبها اقتدى وفيها اعتبر !

الا ان موقف غاندي يحمل من الجدة والابداع في تحقيق البطولة الهندية ما لا نجده عند بوذا ، ولا في حياة بورونَ داس ، والجدة فيه ، هي « الحرارة » والاستمرار بالعمل الاجتماعي ، اذ لم يكتف بالتأمل ، ولا بابداع فلسفة جديدة ، ولا بالزهد والنزاهة ، وانما أصر حتى النهاية على تطبيق « الفكرة » التي انتهى اليها ، وكانت غايته عملية وليست نظرية ، هي تحرير الهند ، بينا وقف بوذا عند الجانب الفلسفي من جهاده ، وارتاح داس الى التأمل والمعرفة .

والاعمال لا تتسم بسمة البطولة الا حين تتحقق فيها شروط اساسية ثلاثة : الوعي ، والتضحية ، وشرف الغاية ، فاذا ضحى امرؤ بحياته مثلاً ولم يكن واعياً من قيمة هذه التضحية لايعد بطلاً ، واذا أدرك وضحى ، بيد ان غايته لم تكن عالية . لا يكون بطلاً .

ذلك ما اوضحه أرسطو ايضاحاً تاماً بقوله : « ان من يموت تهرباً من الفقر ، او تجنباً لعذاب الحب ، او فراراً امام ألم من الآلام لا يكون بذلك قوياً ، بل يكون جباناً ، فالتهرب من الشقاء ضعف » .

وجاء في فصل لتوما الأكويني هذه الملاحظة : « الغاية هي القاضي العادل في الحكم على الاعمال الانسانية . فالقوي هو الذي يتعرض للموت بغية تحقيق الخير ، اما الذي يتعرض للاسر او لعذاب ما ، فانما يكون خاضعاً لضرب من الخوف ، ينافي القوة كل المنافاة » .

فاذا اعتبرت المواقف التي تعرضت بها حياة غاندي للموت — وهي كثيرة — يوم سجن في افريقيا الجنوبية ، ويوم مرض في الهند وهو سجين ، ويوم صام صيامه الاخير احتجاجاً على أعمال العنف التي قام بها الهندوس ضد المسلمين ، وجدت شروط البطولة الثلاثة متوفرة في كل من هذه المواقف التي تكررت مراراً ، فما كان غاندي ليصوم الا وهو على يقين بأن صيامه يهز الامبراطورية البريطانية من اقصاها الى أقصاها ، وهو بهذه « الهزة » الروحية التي يحدثها يرمي الى غايتين سافرتين نبيلتين : اولاهما ، ايقاظ الضمير الانساني عند اولي الامر من الحكام والقضاة والساسة . والثانية ، تقوية معنويات الشعب في طلب حقه ، وضرب المثل له بفوائد التضحية والصبر وحمل النفس على المكاره ، حتى ينال « العدل » من غير لجوء الى العنف ! .

وهنا يجب ان نذكر ان غاندي متأثر بفكرة العدالة اكثر من تأثره بغيرها من الافكار ، لانه درس المحاماة ، وكان من رجال التشريع ، فوقف نفسه وجهوده للدفاع عن الحق ، ومذ ظهر لـه الظلم المحيق بالهند ، قرر انقاذها وكان بطل العدالة في هذا العصر . اما اساليب هذه البطولة وطرائق تصرفها فسنراهـا في طبيعة غاندي حيث ندرس « غاندي والمرأة » في الفصل المقبل .

عبد اللطيف شرارة



الآنسة جاكلين جورج صيدح

ساعة التجريح

☆

رفقاً بهـا يا مبضع الجرّاحِ ... شرّحتَ قلب الوالد الملتاحِ

ان زدتَ إيلاماً فضحت تجلدي ... وجمعت بين صياحها وصياحي

والله لو اطلقتُ روحي لارتمت ... تحت النصال ، تصدها بجراحي

هذي القطاة ، قصاصة من ريشها ... تكفي اذا انتثرت لقصّ جناحي

ماذا جنت، وهي الفطيمة في الربى ... حتى تُسام خسارة الاقداح ؟

بالامس مدت عنقها من وكنها ... واليوم تشهد مدية الذباح .

الياسمين الغض في اكمامه ... غبن النضارة أخذه بالراح

انا لا اخدّشه بغير نواظري ... وبغير شم عبيره الفوّاح

ما لي اراه على الخوان مجرّحاً ... واكاد ألثم أنمل الجراح ؟

ويحي ، دفعت الى المشارط فلذة ... كنت الضنين بها على الارياح

صُرعت من الآلام في غيبوبة ... سكرت بها، وانا الصريع الصاحي .

قالوا غلوت بحبها فأجبتهم ... ويل الشجي من الخلي اللاحي

النوح ان يثقل على اسماعكم ... صلوا لاجل نجاتها وصداحي

هـي فرحة للوالدين وحيدة ... يتآسيان بها على الاتراح

ان الذي أشفى على خوض الدجى ... مثلي ، ليقدر قيمة المصباح .

آمنت في علم الطبيب ، وان في ... جرح الجسوم سلامة الارواح

ربّاه ، سدد كفه وسلاحه ... اني طرحتُ على يديه سلاحي .

بونس ايرس — الارجنتين ... جورج صيدح



بقلم مصطفى فروخ

استاذ الرسم في جامعة بيروت الاميركية

☆

اولئك الذين اتيت على ذكرهم في حديثي السابق* هم في الواقع طلائع النهضة الفنية ولكن روح هـذه النهضة ونجومها المتألقة هم في الدرجة الاولى: ده فنسي، ميكالنجلو ورفاييلو زانزيو .

ده فنسي

ان الباحث المدقق لحياة هذا العبقري يرى فيه صورة واضحة لعصره، ذلك العصر الذي يمثل دور الانتقال من القرون الوسطى وعنعناتها الى دور النهضة وثورتها . وذلك بين ميلاد ده فنسي ووفاته اي من عام ١٤٥٢ — ١٥١٩ .

جدير بنا ان نبين ان للحوادث الكبرى في حياة الامم والافراد اثراً بليغاً لا يمكن المرور بها دون وقفة قصيرة نتفهم فيها ونتدبر، فقد تحدث فيها مثلاً هزة اجتماعية فاجعة ولكنها مع شرور الصدمة تحمل بعض الخير والحياة، وقد صدق المتنبي حينما قال : وربمـا صحت الاجسام بالعلل . .

ان الحوادث التي نزلت باروبا في ذلك العصر، كسقوط القسطنطينية واكتشاف اميركا وغيرها وغيرها من الاحداث الخطيرة اثرت فيها الى ابعد حد فخلقت وعياً واوجدت يقظة لبثت كامنة . فقد كان في هذه الاحداث ما دفع الى التفكير والحزم والانبعاث وده فنسي كان مثال هذه النهضة واليقظة بمـا انطوى عليه من جوع غريب المعرفة الشاملة، فتراه يعالج المسائل العلمية العديدة والتجارب البكر . ويعطي في الفنون من الروائع ما هو مثار اعجاب على كر الاجيال .

والتاريخ يقول انه صنع طيارة ولكن تلامذته حالوا دون اقتحامه الهواء . واخترع آلات للحرب والسلم وهندس القصور والقلاع ووسائل الدفاع والري ولم ينسَ الموسيقى فاعطاهـا من عنايته . لقد اجتمع في شخصه مـا تفرق في الكثيرين، ومن مزاياه الكثيرة عبقريته وجماله وقوته الجسدية التي كانت تمكنه من ان يلوي نعل حصان بيده، والى جانب هذه القوة كانت له نفس بلغت الغاية في الرقة. فقد ذكر عنه انه كان يشتري العصافير من تجارها ثم يطلقها واهباً لها الحرية .

واتسعت شهرة ده فنسي فتبارى الملوك والامراء بدعوته، ومنهم الدوق سفورزا حاكم ميلانو وقد عمل في خدمته ورسم هنـاك الصورة المشهورة (العشاء السري) التي تمثل المسيح بين تلامذته عندما اخبرهم ان واحداً منهم سيخونه وقد اجاد فيها الى ابعد حدود الاجادة وكان هدف من ورائها الى دراسة النفس الانسانية المتباينة المحفوفة بالاسرار والخفـايا . وهي من نوع تصوير (الافريسك) يبلغ طولها ٨/٥ امتار .

وقصة الفنان مع محاسب الدير الذي وشى به عند الرئيس لتباطئه بالعمل فانتقم منه ده فنسي بان صوره في هذه اللوحة موضع (يوضاس) فجـاءت تمثيلاً للخيانة والمكر وكانت ابلغ درس واشد انتقام لكل دساس لئيم .

ان (ده فنسي) احد الرواد الذين بحثوا عن النفس الانسانية وحللوها ومازوا الخبيث فيهـا من الطيب، والجميل من القبيح ثم حارب الخبيث والقبيح وكشفهما للنـاس تذكرة وعبرة فكان بعمله هذا علماً من اعلام الخلق وسيداً من اسياد الفضيلة .

ومن يتأمل صوره يرى انها لا تمثل الاشياء الا في مثلها العليا من حق وخير ولذلك كان داعية انسانياً ومعلماً اجتماعياً، فلم يصور كي يرضي الناس ويساوم بروحه على حطام الدنيا وهو الذي كان يرفض دعوات الملوك والامراء راضياً عنها بالعزلة في غرفة حقيرة في احد الاديار كي يتاح له ان يفكر ويدرس ويشبع نفسه العطشى للمعرفة .

* الاديب عدد نيسان ١٩٤٨ .

في دير (سانتاماريا دلا كراسيا) على
مقربة من ميلانو وعلى احد جدرانه الفسيحة
سجل هذا العبقري لوحته الشهيرة (العشاء
الاخير) فمثل يسوع جالساً بين رسله الاثني
عشر وقد التفوا كلهم حول مـائدة مد
عليها الطعام .

حينما همّ بمعالجة هذا الموضوع جعل هدفه
ان يضع امامنا دراسة عن نفسيات المجتمعين ،
بل عن النفس البشرية عامة ليعطينا صورة
عن فكرة الخير والشر .

وقد توخى في التأليف ان يلفت نظرنا
الى شخصية (يسوع) ثم (يوضاس) اما
يسوع فقد انفرد عن الجميع تاركاً فراغاً
مهيباً بينما ضم رؤوس الرسل بعضها لبعضها
مما جعل للسيد الكريم جلالاً وروعة .

وكان هدف « دهفنسي » ان يبرز لنا
من موضوعه هذا حادثاً مؤثراً وفكرة انسانية
نبيلة ، لاعتقاده ان الفاجعة العظمى هي
الفاجعة الروحية الادبية . لذلك جهـد
بابرازها على وجوه الجالسين حول المائدة
وهم ينتظرون برعشة كلمة « السيد » .

وقد استطاعت عبقرية « دهفنسي »
ان ترسم لنا صورة رائعة عن نفسيات البشر
المتباينة في هذه الحياة الدنيا .

ولعل اجمل مـا في اللوحة هو الفرق
العظيم بين صورة « يوحنا » التي تمثل الحب
والاخلاص والطهارة وبين صورة « يوضاس »
الشاحبة التي تمثل المكر واللؤم والرياء .

وهكذا وضع على كل وجه ما يدل على
نفسيته ودخيلته . وفي هذا الجو الرهيب اخرج
لنا امثولة سامية ليترفع بالانسان الى مستوى
النبل والطهر وكرم الخلق وذلك بمروره
مر الكرام بخيانة صديقه له واعطاء المثل
الصالح في التسامح والمحبة والسلام الانساني
الشامل تلك الفلسفة الرحيمة الطيبة التي
ابت ان تخرج من بيئتها وتتفتح بعيداً عن
منبتها وتعيش خارج جوها . ولذلك ظلت
وستظل البشرية غارقة في حمأة الظلام والشر
والدماء .

ان لهذا العبقري لوحـات عديدة
« كالجوكندة » ذات الشهرة العـالمية
والابتسامة الغامضة والنفسية العميقة ،
وغيرها من اللوحات التي يطول بنا مجال
ذكرها . ونجعل ختام كلامنا عن دهفنسي انه
قد شق في فنه طريقة جديدة ولكنه لم يقطع
صلته بالماضي شأن كل بحاث عاقل مخلص
هدفه البحث عن الحقيقة ليصنع في الواقع
العادي فكرة عالية ويبدع جمالاً سرمدياً

كله الحكمة والخلق العالي .

وها نحن نصل اخيراً الى احد العباقرة
الثلاثة : ميكالنجلو الفنان القومي ، الثائر
الناقم على رياء الانسان وظلم الانسان .

قال الكاتب الاشهر « اميل لدفنغ »
ان العباقرة ثلاثة : بتهوفن ، رامبرنت
وميكالنجلو ، وقد منحتنا اياهم العناية
في ساعة رضا ورحمة . »

وقد اشتهر ميكالنجلو بالصراحة
التي اتخذها البعض عليه حجة وحاربوه من
اجلها . ولكنه لم يهن ولم يضعف ، والفن
هو شيء كبير من الحق ...

لقد عرف ميكالنجلو بالثورة وامتاز
فنه بالقوة وبروز العضل . انه كان بـلا
ريب مصلحاً اجتماعياً محباً لوطنه الجميل وهو
حامل رسالة الجمال ، لذلك لم يصور لامته
تهاويل واصناماً ولم يساوم بفنه ولم يأتها
بمواضيع غريبة عنها مائعة خائرة ، بل مهرها
بفن قوي ثائر ليؤجج فيهـا روح الثورة
والعظمة والحياة .

كان ميكالنجلو يعمل بصمت في
مدينته « فلورانس » ولكن البابا جول
الثاني وقد شاهد بعض روائعه لم يلبث ان
دعاه لروما وكشف له عن رغبته في بناء
قبة كنيسة مار بطرس عجيبة الفن . وقد
وجد عنده التشجيع العظيم .

ذهب ميكالنج الى مقالع « كرارا »
وقلبه يطفح سروراً تداعبه الاحلام الحلوة
بما سيولده خياله من الروائع وعاد فـاذا
بالخيبة المريرة تصدمه في صميم آماله عن يد
صديقه وزميله الشاب الانيق الحلو الحديث
الذي يتغزل دوماً بالمثل العليا وينثر على
الناس عظاته في الاخلاق العالية والتعفف
عن المـادة والهيام الملتهب في سبيل الفن
والجمال ، هو روفائيل صديق رجال الدولة

العشاء الاخير (لده فنسي)





الجوكندة (لده فنسي)

●

وشريك حاشيتهم وفي مقدمتهم السياسي والكاتب المعروف «بالداسار كستيليوني» ولم يحجم ان يضحي بالكثير من فنه في سبيل مرضاة سادته فنال ثناءهم ورضاهم ونعم بالعيشة الهنيئة والجاه العريض . وغرق في نشوة الحب ومتع الحياة .

هذا الصديق هو الذي حول البابا عن هدفه وحال دون زميله والعمل

غادر ميكالنجلو روما مغضباً وبعث البابا لاسترضائه الرسل ولكن عبثاً كان جهدهم .

ان المثل يقول : الفن الصحيح يفرض نفسه لذلك رأينا البابا يسافر الى فلورنس ويزور الفنان الكبير ويسترضيه وقد تم الصلح بين الزعيمين الكبيرين وعادا معاً الى روما حيث كان من حظ الانسانية ان اضافت الى تراثها مثل هذه التحفة الفنية قبة مار بطرس وتمثال موسى ويوم الدينونة في معبد سكستين .

خلق فناننا العظيم مثالاً وقد كشفت له التماثيل الاغريقية سر الجمال وسلمته المطرقة والازميل والريشة كي يتحف الانسانية بفنون رائعة من هندسة ونحت وتصوير هي وميض من انوار الفكر والذكاء والعبقرية الخالدة .

لنتكلم الآن عن احدى صوره في (معبد سكستين) على سبيل المثال :

ان صورة (خلق آدم) تعد في نظر كبار النقاد في طليعة الصور الموجودة هناك ، لما فيها من قوة وجلال .

ان فناننا قد مثل فيها القوة المبدعة تنزل من السماء لتقترب من الارض حيث الانسان لا يزال ملقى على الارض وقد بدا آدم بين الحياة والعدم ، وهو يمد بضعف احدى اصابعه نحو الخالق ومن هذا التماس تنبعث الحياة .

وقد اجمع اهل الفن ان هذه الصورة من اروع ما عرف جمال التركيب . ان جسد آدم المتراخي والذي لم تتم فيه بعد معالم الحياة يحاول النهوض وقد بدا بشكل منحن على نصيب كبير من اللطف والروعة .

ان ميكالنجلو عشق الجسم الانساني كما عشقه فنانو الاغريق الذين وجدوا فيه الينبوع المتفجر لما انطوى عليه من الدقائق في تقاطيعه والانسجام العجيب بينهما ، غير ان ميكالنجلو بزهم في التعبير عن النفس الانسانية وخوالجها وافرغ فيه من التشريح ما يعد قدوة لكل بحاث متطلب .

والحق ان ميكالنجلو في فنه عبقري من الطراز الاول ، سواء أكان في النحت ام الهندسة ام التصوير فهو عظيم فيها بلا تردد فكل ما انتجه فخم رائع مهيب .

وميكالنجلو عظيم في انسانيته ، وفي احساسه ، فعندما صور (آدم) جعله كأنما يفتح عينيه للمرة الاولى على عالم يخفي طيه كثيراً من كآبة ووحشة وهو يبدو متراخياً كسولاً لمجيئه الى هذا العالم . فكأنه يستشف من خلاله الشقاء والبؤس وانه ليس عالمه المثالي الطهور ، ويظهر في آن واحد كأنه آسف ان يظل في طيات العدم .

ان ميكالنجلو قد حلق الى الذروة



خلق آدم (لميكالنجلو)

●

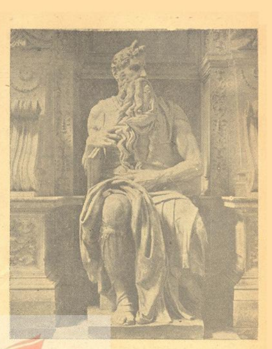
يوم اخرج لنا هذه الرائعة فقد مثل فيها اللحظة التي يتقبل آدم من ربه اعباء الحياة ، تلك الامانة الهائلة والمسؤولية الكبرى فنراه وفي نظراته الكثير من العتاب الصامت .

انه في موقفه هذا يمثل الفصل الاول من سلسلة عراك الانسان الموجعة وولوجه ميدان التجربة والالم والقهر .

ومن روائع ميكالنجلو ايضاً تمثال (موسى) : كتلة عظيمة من الرخام

ان المتأمل في تمثال (موسى) يدهش بما اودعه فيه هذا الفنان من براعة ومعرفة فيبدو وكأن اجزاءه كافة تتحرك وتتنفس وتميل . ان اتجاه الرأس صوب اليسار بتلك الحركة القوية والنظرة المزوّرة والانف الاشم والفم المنكمش ، كأنما يدعو الى الثورة ويستنهض الحياة وينادي للعمل ويؤمل المظلوم ويهدد الظالم . وزاد في قوته تلك اللحية الملتفة التي هي ثورة بذاتها . ووضع الذراع اليسرى الممتدة وقد برزت عروقها وبدت شرايينها بقوة كأنما تتهيأ لعمل خطير . وما اجملها مع حركة الذراع اليمنى المنطوية فقد اتمت الانسجام وزادت في معنى التوثب . ولكي يزيد في ابراز المعنى امسكه بيده (لوحة الوصايا) ليعني ان الثورة التي يريدها ثورة شرعية تنبعث عن حق الانسان لا ثورة استغلال ومساومة وتدجيل .

– التتمة في صفحة ٥٩ –



تمثال موسى (ميكالنجلو)



عذراء البستانية (لرفائيل)

الناصع يبلغ ارتفاعها خمسة امتار كانت لوقت قليل قطعة بليده من الحجر الاصم ، ثم مرعليها ازميل هذا العبقري فاذا هي تنطق عن مشاعر الانسانية ومن آمالها . ولا غرو اذا اعترت ميكالنجلو هزة كبرياء بعد ان شاهد هذا الصخر ماثلاً امامه ينبض بالحياة ويخفق بالامل ويتحفز للنهوض فلم يستطع رد جماح نفسه امام هذا الخلق الجبار ، فهتف من اعماق نفسه بكلمة ذهبت مثلاً بعد ان ضرب التمثال بالمطرقة المرتجفة في يده القوية قائلاً : « تكلم يا موسى !.. » .

اجل ، لقد تكلم تمثال موسى على كر الاجيال وحمل للانسانية خلاصة الفكر الانساني واحساسه ، كما حملت من قبل الحمراء والزهراء وجامع قرطبة الآثار العربية في الاندلس وكما حملت معالم الاغريق فوق هضاب الاولمب والاكربول وكما نقلت على اطراف النيل آثار الفراعنة وامجادهم . ومثلهم الرومان في باحات (فورم رومانو) وفي بطاح بعلبك .

خدعة الخلود

●

لا أنت سالمك الزمان ولا انا
هذي مياسمه على قسماتنا ...
ودبيبه ينساب في خطراتنا
ويداه تنسل من خيوط حياتنا
ويد البلى تطوي الرغائب والمنى

***

ما الفجر ؟ ما الاحلام ؟ ما الشوق الدفين ؟
ما نشوة الذكرات ؟ ما حرق الحنين ؟
مـا وهلة الغيب الموشح بالفتون ؟
ما اللهفة الكبرى تراود في جنون ؟
مرت عليها كلها كف السنين !

***

خطواتك النشوى التي كادت تطير
وتوفز النظرات في ألق مثير
وتوثب اللفتات في لهف حرور
وتقلب الرغبات في قلق غرير
ويحي وويحك قد تعاورها الفتور

لا أنت داعية ولا أنا مستجيب
قرّت أمانينا على الافق القريب
وتكشف الوهم المغلغل في الغيوب
وبدوت عارية من الالق العجيب
وبدوتُ عادي المحاسن والعيوب !

***

ألقاك كالذكرى تمر بخاطر
كالخطرة الوسنى بفكرة شاعر
كالرسم يبهت لا يبين لناظر
كبصيص نار في الرماد الفاتر
ويحي وويحك نحن ذكرى عابر !

***

ويحي وويحك ما الحياة وما الخلود ؟
خدع تهدهدنا بها الأم الولود
ويد البلى تطوي القديم على الجديد
والدهر ماض لا يكل ولا يحيد
والناس والايام والدنيا عبيد .

حلوان — مصر

سيد قطب

حول اللغة والادب

بقلم عيسى ميخائيل سابا

حد ابن خلدون الادب بقوله : « هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها، وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته، وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم » وقال آخرون : ان القصد من دراسته الوقوف على جمال القول وروعته .

شيء به فُتن الورى غير الذي يدعى الجمال ولست ادري ما هو

امام هذا اسائل نفسي ما هو ذلك الجمال ؟ او ما هي تلك الروعة وان شئت فقل الاجادة التي نلمسها في دراساتنا الادبية ؟ وقد اقتصرنا على تفسير معنى البيت ، ودونه ودون الحقيقة بون شاسع ، او التطريب للكلمة الرشيقة ، وابداء اشارات الاعجاب باليد والتغني بالشعر ومد الصوت تهديراً وترعيداً وتحزيناً لا غير ، ونقول انه جميل ولماذا ؟ لا نعلم ، ونزعم اننا ندرس الادب ونعلمه وقد فاتتنا الغاية المرجوة التي يقصد اليها بالذات واغفلنا توجيه الطلاب اليها ، وهو النقص الذي نلمسه ويلمسه كل من درّس الادب . ويقول ابن خلدون ان صاحب هذا الفن يحتاج الى اصطلاحات العلوم ليكون قائماً على فهمها . . والمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه ليس له غنية عن دراسة قواعد اللغة من صرفها ونحوها وبيانها والا ففهمه للادب يكون ملتوياً .

واذا كان الادب على ما يقولون، هو كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل ، وهي كما تكون بالفعل وحسن النظر والمحاكاة تكون بالاقوال الحكيمة التي تضمنتها اللغة من نتائج عقول ابنائها وامثلة طباعهم، وصور اخيلتهم ، ومبلغ بيانهم مما شأنه ان يهذب النفس ويثقف العقل ويقوّم اللسان ، وهذه كلها مدعاة لارهاف الحس وصقل الذوق وهو عند اهل البيان حصول ملكة البلاغة التي هي مطابقة الكلام المعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في افادة ذلك ، فهل وصلنا في تدريسنا الى تلك الغاية بعينها ؟ ام ما نزال نغوص في بحار متلاطمة تصدنا عن الوصول الى الميناء الامين بسلام ، حيث نلقي المرساة ونجني من الثمار ما لذ وطاب مما تعرضه من نتاج العقل بذوق سليم سديد ، ونختط لانفسنا طريقاً تتلاءم مع حياة العصر الذي نعيش فيه ، وهل تضمن لنا مدرستنا الادبية الحاضرة تمثيل عصرنا ؟ ام ما زالت تمثل مدارس الاقدمين من الجاهلية الى الصدر الاول فالعباسية .

ترى هل فكرنا في ايجاد مدرسة تنبيء عن حياتنا الاجتماعية والعمرانية ؟ وما اراه وربما اكون مخطئاً ، أننا ما نزال نعيش على هامش الاقدمين ، ننتقل بعقول طلابنا اليهم ، ونستعمل تعابير صحراوية ونحن في عصر الكهرباء والسرعة والطاقة الذرية .

وبعد أليس القصد من دراسة الادب معرفة احوال النابهين من من اهل اللغة في كل عصر، وما كان لنثرهم وشعرهم وتأليفهم من اثر محمود او حال ممقوت ، لنحتذي مثال المحسن ونتنكب طريقة المسيء ، واحياء القومية في نفوسنا ، ونجري بعصرنا الى الحسن فالاحسن ، وتوجيه فكر الطالب الى ما يقع تحت حسه وفي متناول يده ليصوره بخياله وأدبه ، كما صور من تقدمنا ما كان لهم من اسباب العمران او التردي والرفاهية او الخشونة .

الا يجدر باساتذة الادب ان يحرروا انفسهم من فرط التعلق بالتقديم وتقليده ويتوجهوا بافئدتهم نحو الاجتهاد؟ وبابه في الادب ما زال مفتوحاً ، ويصنعوا لنا قواعد وحدوداً تقرّب معنى الجمال بوضعه الفلسفي وباسلوب يحمل طالب الادب على رفع مستوى عقله واخلاقه .

واذا كان القصد من الادب جمع المجاميع وشرح الغامض شرحاً تقليدياً فيه خلط وتشويش ، فما اقصرها جدوى ، واقلها فائدة ، أليس من الخير ان يوجه الطالب توجيهاً ادبياً بعد ان يكون قد وجه توجيهاً لغوياً صحيحاً في الصفوف الدنيا ، فيتعرف وجوه الجمال بمساعدة البيان، ويعرف كيف يجب ان يفهم قول السري الرفاء مثلاً :

تعانق ريحها لم الخزامى واعناق الفرنفل في مراها
ويأبى زهرها الا هجوعا ويأبى عرفها الا انتباها

ولئن كانت لذة الجمال تعلن نفسها غالباً بايجاد عمل من الاعمال، لان في الانسان رغبة متأصلة في اعماق نفسه ، تدعوه لان يوضح ما

دعــوة الى الادبـــاء

بقلم محمد المجذوب
مدرس الادب والعربية في تجهيز طرطوس بسوريا

☆

قد يكون من الفضول ان اخص بحديثي هذا طبقة الادباء دون غيرهم من جماعـات الشعب في ديار الشام ثم في سائر الوطن العربي . ولكن الواقع ان في حياة هذه الطبقة مشكلة خطيرة تتطلب معالجتهـا كثيراً من الجهود . وطبيعي ان احساسي المباشر بهذه المشكلة هو الذي يدفعني الى الخوض في الكلام عنهـا الآن . ولا أعدو الحقيقة اذا قلت انني كنت اود لو سبقني الى هذا الموضوع من هو اقدر مني عليه ، ولكن الذي يشجعني على ذلك هو الأمل بأن تثير كلمتي هذه حمية الادباء لهذه القضية فتتناولها اقلامهم بمـا قد يفوتني في هذه العجالة من العناصر .

قلت ان هناك مشكلة بل ازمة خطيرة تستحوذ عـلى حياة هذه النخبة من حملة الاقلام وخـاصة في هذه الديار الشامية من الوطن العربي .

☆ حديث اذيع من محطة الاذاعة اللاسلكية السورية بدمشق .

يشعر به إما بخط او صوت او تصوير ، او على حد تعبير كارليل « لا يمكن ان يوجد ملتن صامت غير مجيد » ولايضاح ما يجول في المخيلة يجب ايجاد مادة ، تنقل تلك الصور مطبوعة بطابع الجمال ، واين نجد هذا الجمـال ؟ ان لم يكن له طرق موصلة تقودنا اليه ، أليس من الغبن ان نهمل تلك الطرق ثم نتهافت على تعابير ليس لها صلة بعصرنا ألبتة ، ونحمل على اللغة ومتونها ، ونجهر قائلين اننا نرغب في تبسيط اللغة ، ومن يبسطها ؟ أيبسطها اولئك الذين لم يلمسوا بيدهم كتـاباً من كتب الأئمة ؟ او الذين لا يعرفون من اللغة غير كلمات معدودات يرددونها في كل قول ، وشيء ضئيل من فقة اللغة واصوله ، لا يغني ولا يفقر .

وما قيمة الادب الذي بين ايدينا اذا كنا نسير سيراً تقليدياً فلا نشرحه على ضوء العلم والتاريخ بل نكتفي بشرح رجل فرد رأى فيه رأياً يخالف كل المخالفة الحقيقة ، وقد صرنا في زمن عمّت فيه الكتب ونشر المخطوط في كل فنّ ، واصبح في متناول كل فرد ان يرجع الى عصر الشاعر ويدرس احوال البيئة التي عاش فيها ويقف على مبلغ الحياة العقلية فيها وعمرانها وحكمها والمذاهب المنتشرة فيها ، والتـاريخ والادب صنوان لا يفترقان الا في نواحٍ عقلية محضة وهي الجمال الفني وهو الذي نرغب فيه الى اساطين الادب ان يجعلوا له قواعد ، كما فعل أئمة البيان في عصرهم كعبد القـاهر الجرجاني المتوفي سنة ٤٧١ هـ . والامام ابي يعقوب السكاكي المتوفي سنة ٦٢٦هـ وجملة القول ، انه ليس عندنا مدرسة ادبية تمثل عصرنا تمثيلاً حقيقياً كمـا مثل « المثلث الاموي » عصره وشعراء العصر العباسي من بشار بن برد الى ابي العلاء في الشعر ومن ابن المقفع الى القاضي الفاضل في النثر ، ومعلوم ان لكل جيل ادباً وخيالاً ونتاج عقل يستفاد من الحاضر ، والفن يخاطب العقل كما يخاطب القلب ، فأين الفن ؟ أيكون عصرنا عصر دراسات فحسب ؟ اوليست كثرة الدراسات الادبية تنتهي بنا الى بكم ، وما نتيجة الادب الذي درسناه في مدى هذه السنوات ؟ ان لم يكن لنا منه ثمرة الابداع وتصوير العصر بحضارته .

عيسى ميخائيل سابا

واعني بالازمة هذا الكساد الذي يعترض منتوجهم الادبي فيبعث الكثير منهم على اليأس فالخمود، ويدفع بالعديد منهم الى التسكع في دروب مظلمة كانوا أبعد الناس عن ارتيادها لو وجدوا من ظروف الحياة ما يفسح مجال الاعتماد على القلم وحده .

ولا ريب في ان الباحث في هذه الأزمة يجد نفسه امام مرض تقتضي معالجته تعمقاً في استقصاء عوامله بحيث يتاح له ان يقول الكلمة الحاسمة في شأنه .

وأول واجبات الباحث في هذه الناحية هو استفتاء ذوي العلاقة المباشرة في القضية واعني الادباء انفسهم . والذي اعلمه عن رأيهم في الموضوع انما ينحصر في الشكوى من قلة القراء ، واقبال هذه القلة – او معظمها – على مواطن الادب الرخيص الذي يعتمد بوجه خاص على اثارة الناحية الجنسية .

وقد يكون هناك بعض الاسباب الاخرى ولكنها ثانوية بالنسبة الى هذا السبب الاكبر ، فلنحصر همنا اذن في هذه النقطة البارزة ولنتساءل عن الطريقة الناجعة في تدبرها .

لا شك ان في موقف هذه الجمهرة من القراء ظاهرة من العقوق الموجع لاصحاب الانتاج الادبي الصحيح ولكن على المفكر ان يتساءل بدوره عما اذا كان هناك مسؤولية مقابلة تقع على عاتق هؤلاء الادباء .

وفي اعتقادي اننا لن نستطيع تبرئة ذممهم من الاشتراك في هذه التبعة الى حد بعيد جداً . ونظرة واحدة الى معظم ما اخرجته مطابع الشام ومصر وغيرها في السنين الاخيرة مثلاً ، تضع ايدينا مباشرة على البرهان الواضح الذي يدعم هذه الحقيقة . . ذلك ان هذه النظرة النفاذة تطلعنا على مدى الهوة التي تقع بين عقلية الجماهير العربية وبين هذا الانتاج الادبي الارستقراطي .

ادب خاص وادب عام

لا مناص للباحث من ان يقسم الادب على اختلاف مظاهره وموضوعاته الى هذين القسمين : الادب الخاص ، واعني به ما يكتب مثلاً لطبقة معينة هي الطبقة المدرسية او المثقفة . ثم الادب العام واقصد به الادب الذي يوضع برسم الشعب . وانما يتفاوت مدى رواجه بمقدار ما يعنى به من مشاكل الجماهير ، سواء في ذلك القصة او المقالة او الشعر .

واستدرك فأقول انني احصر حديثي اليوم في النثر وحده فللشعر كلام آخر ليس هذه محله .

ومن العجيب في اوضاع الادب العربي ان تراه متردد السير بين هذا القسم وذاك منذ العصر الجاهلي حتى عصر النهضة هذا .

واذا اردنا ان نضع خطاً بيانياً لسير هذا الادب نجده يبدأ شعبياً بحتاً ، فانت ترى الشعر الجاهلي هو مادة الادب الفني عند القبائل العربية ، يتغنى به الصغير والكبير حتى سمي بحق « ديوان العرب » وليس من باعث لرواجه يومذاك سوى هذا الطابع الذي يتجلى في معالجة روح الشعب بحيث يجد القارىء الجاهلي في شعر عصره حياته ماثلة بأبرز صورها .

ثم يتقدم هذا الخط صعوداً مع تطور حيـاة العرب في صدر الاسلام والعصر الاموي فيظل وثيق الصلة بخصائصها ويظل الترجمان الافضل لكل مـا تختلج به النفس العربية من نوازع روحية تقدمية او رجعية .

ولكننا ما نلبث في مرافقة هذا الخط الى العصر العباسي حتى نجد عوامل الحياة تميل بالادب قليلاً قليلاً الى الانسلاخ عن روح الشعب ليندمج في طبقة رفيعة الثقافة تمثل بنفسها ناحية الترف العقلي المنهمر على بغداد من ينابيع الفكر العالمية ، وقد زاد في قوة هذا الميل انقطاع الشعراء الا قليلاً منهم عن روح الكافة الى التغلغل بعيداً في مجالات التكسب ، ثم تلك الثورة الفكرية التي اعتلج بهـا العقل العربي والاسلامي في مختلف نواحي العلوم والفلسفـات والمذاهب . . ولكن الادب مع ذلك كله بقي يمثل كثيراً من خصائص الشعب لان انتشار الثقافة واستعمال الورق أديا الى تضخم تلك الطبقة المثقفة حتى كادت تستغرق القسم الاكبر من الجماعات .

ويستمر هذا الخط بعد ذلك متذبذب السير في خلال مراحله التالية حتى يوشك ان ينقطع تماماً عن الجو الجماهيري في عصور الانحطاط ليكون ادب لهو وتسلية وتلاعب بالالفاظ .

ثم نطل على عصر النهضة فـاذا نحن بهذه التعاريج تزداد اضطراباً في سير هذا الخط فبينا نراه يتغلغل الى اعمق مشاكل الجمهور فيصور آلامه وآماله ونزعاته القومية والاجتماعية المختلفة اذا هو من ناحية اخرى ينفصل بعيداً عن روح الجماعة ليكون جواً ارستقراطياً محضاً قوامه هذه الكذبة الكبرى « الفن للفن » .

ذلك استعراض لا مندوحة منه عند التفكير في هذه الازمة الادبية . وفي وسع الباحث الناقد ان يستخلص منه الحل الافضل لهذه المعضلة . ثم ان في هذا الاستعراض نفسه ما يكشف بوضوح عن مسؤولية اكثر الادباء في ما يعتور نتاجهم من عوامل الكساد لدى جمهور القراء . وسأوجز في مـا يلي رأيي الخاص في هذه التبعة وطرق معالجتها . .

لقد درج اصحاب الفكر من كتابنا وخاصة في السنين الاخيرة كما اسلفت علي ان يتوجهوا بمعظم عملهم الادبي الى ناحية الادب الخاص فراحوا ينشرون مؤلفات اقل ما يقال فيها انها نوع من التحقيق لبعض النواحي المطروقة من تراجم رجال الفكر والسياسة او الموضوعات الفنية الخالصة، فكانوا بعملهم هذا يكتبون لبعضهم دون ان يعنوا بهذه الطبقات الاخرى من الجماعات المتعطشة الى المعرفة. ونحن نعلم ان مثل هذه الطبقة المثقفة ممن يقرأونهم لا تزال قلة في بلاد العرب، وهي تعاني في الغالب، نفس الازمة التي يشكونها من الناحية المادية فالاعتماد عليهم والحالة هذه انما هو مضيعة للجهد والوقت فضلاً عن انه لا يؤدي الى الغرض المنشود من رسالة الادب.

وهكذا كان طبيعياً ان تبحث هذه الجماهير عن اقرب مورد لارواء ظمئها فكان منها هذا الاتجاه الذي نشكوه نحو الادب الرخيص. والنفسية الشعبية في هذه الناحية أشبه بالسيل اذا وقفت بوجهه السدود تحول في باطن الارض الى المجاري الممكنة لنفاذه.

وليس أدل على هذه الحقيقة من فشو الزجل الشعبي والقصص الخرافية في اوساط هذه الجماهير. ففي اعتقادي ان انتشار الشعر العامي الذي يهاجم معقل الفصحى منذ عشرة قرون لم يكن في حقيقته البعيدة الا ضرباً من حاجة هذه النفوس الى الاعراب عن خوالجها بالطرائق المتيسرة بعد ان ارتفع الشعر الفني عن مستوى مدارك العامة، وفي يقيني كذلك ان اقبال العامة في الماضي والحاضر على قصص «الملك سيف، وفيروزشاه، وأبو زيد، ونجمة السحور» وأمثالها من الكتب القديمة والحديثة لم يكن في الواقع الا ضرباً من التعبير عن ظمأ هذه النفوس الى موارد ادبية، تتلاءم مع مستواها الفكري.

ولايضاح هذه الحقيقة المرة نسأل اي شاعر كبير في مختلف ديار العرب عن عدد الطبعات والنسخ التي اخرجتها دور النشر لديوانه، ثم نسأل باعة اغاني «عبد الوهاب وام كلثوم وفريد الاطرش..» عن طبعات منشوراتهم وإعداد نسخها وارقام تصريفها. ثم لنقارن بعد ذلك بين النتيجتين.. اننا سنرى بلا شك ظاهرة رهيبة ليس من شأنها ان تبعث الاطمئنان على مستقبل الادب الصحيح.

وهكذا نستطيع القول في المنتوج الآخر من النثر الفني والنثر العامي. فمن المسؤول — ليت شعري — عن كل هذه الفواجع؟!.

ذلك سؤال يحتاج جوابه الى تفكير عميق وجرأة بالغة اما انا فأقول «ان المسؤول عن كل هذا بالدرجة الاولى هم الادباء انفسهم لانهم تعمدوا اهمال هذا الشعب فكان انتقامه منهم كبيراً ومساوياً لقيمة اهمالهم له».

لنرجع الى الشعب

هناك حملة مباركة تقوم بها بعض البلاد العربية لمكافحة الامية، وهي تستغرق جهوداً لا بأس بها في سورية، ولكنني كثيراً ما وجدتني اتساءل عن نتائج هذه التعبئة في المستقبل البعيد.

لقد لقيت بنفسي عدداً كبيراً من تلاميذ القرى في جبال اللاذقية تركوا مدارسهم من الصف الرابع او من حدود الشهادة الابتدائية ثم اضطرتهم الظروف للانصراف الى مشاغلهم اليومية في الحقل ورعاية المواشي وقد رأيتهم يكادون ينسون كل ما عرفوه في المدرسة وذلك لانقطاعهم عن اي اثر للمطالعة. وليس هذا خاصاً بهذه البقعة بل نستطيع ان نتخذه مثلاً لسائر مناطق البلاد. ونحن في كفاحنا للأمية ما احسبنا نرمي الى اعطاء الأميين اكثر من مثل هذه الامكانيات البدائية اول الامر، فلو استطعنا ان نحول كل امي بيننا صورة من هؤلاء التلاميذ القرويين فما هي الفائدة التي نأملها من وراء ذلك اذا نحن تركناهم اخيراً يقفون عند ذلك الحد نفسه الذي انتهي اليه اولئك القرويون.!!

الجواب «لا شيء بالتأكيد».

اذن فما هي احدى الوسائل للانتفاع بهذه المكافحة والوصول بها الى اهدافها العملية؟.. ان الجواب على ذلك في اعتقادي هو المطالعة ثم المطالعة، وهنا يرد علينا سؤال آخر عن لون هذه المطالعة المنشودة والطرق المحققة لوجودها.

وعندي ان الجواب السديد لهذا التساؤل هو الذي يحمل في طواياه الحقيقة المرجوة.

فاما لون هذه المطالعة فينبغي بالضرورة ان يكون مستوحى من نفس هذا الشعب بحيث يتناول اخلاقه وحاجاته ومشاعره ويعرض نماذج من تراثه الروحي الذي تكاد تذهب به يد الزمن.

واما افضل الطرق لتحقيق هذه المطالعة فهو ذو شقين «اولاً» تخفيض أثمان المنشورات و«ثانياً» تبسيط الاساليب الادبية بحيث يتاح لها ان تتصل بافهام القراء من هذه الطبقات الشعبية. واذا كان تخفيض الاثمان بالدرجة الاولى يعتمد على عناية الحكومة بحركة النشر وامدادها بالمساعدة اللازمة ثم مراعاة العوامل الاقتصادية العامة في البلاد، فان قضية الاسلوب من متعلقات الاديب وحده.. ولا جرم ان هذه الناحية تشكل بنفسها عقدة

لاسبيل الى حلها الا ان يقتنع الادباء أنفسهم بضرورة هذا الحل . ولا بأس ان نلقي نظرة عابرة لهذه الناحية على حدة .

لنبسّط أساليبنا

تعنى الاوساط الثقافية منذ عهود طويلة بتبسيط قواعد اللغة وذلك بحذف الفضول والخلافات من دروسها .. وهي نزعة مباركة تساعد على ازدهار الفصحى الى حد بعيد . ولكننا حتى الآن لم نجد أي رغبة في النظر الى الاساليب العربية ومحاولة العمل على تبسيطها . وفي اعتقادي انه اذا كان الغرض من تبسيط القواعد هو سلامة طرائق التعبير ، فان تبسيط الاسلوب لا يقل اهمية عن هذه الناحية لانه سيؤدي الى رفع مستوى الطبقات الشعبية وتقريبها من اللغة الفصحى بحيث يتاح للغة الشعب ان تتطهر مع الزمن من شوائب العامية الغريبة .. ، ولا سبيل الى هذا الخير العظيم الا اذا آمن حملة الاقلام بحق الشعب عليهم وأدركوا مسؤوليتهم نحو تثقيفه فعمدوا الى تحرير اقلامهم من العبودية لزخارف الالفاظ وتخليص انفسهم من الهيام بالمجازات البعيدة والكنايات المفتعلة .

أقول هذا وأنا جد عليم بما ينتظرني من استنكار بعض المتيمين بصناعة الزخارف الكلامية ولكن هذا لن يضيرني في شيء . فأنا بعد عشرين عاماً في حياة القلم اضحيت موقناً بأن هذه الزخارف وحدها هي التي جمّدت الادب العربي . واحدثت بالتالي هذه الثغرة الواسعة بين اكثر الادباء وجماهير القراء .

على أنني واثق كذلك بان هؤلاء المحافظين انفسهم سيخففون من غلوائهم كثيراً حين يستعرضون الواقع من الماضي والحاضر فيتذكرون ان اوفر ادباء العربية حظاً من الخلود هم في الواقع اشدهم اتصالاً بروح الشعب وتخففاً من قيود هذه الزخارف الجانبية .

وحسبنا مثلاً على ذلك ابو عثمان الجاحظ ذلك الاديب العظيم الذي كانت ميزته الكبرى على اقرانه من أيمة العصر العباسي كونه نسيج وحده في بساطة العبارة حتى يوشك في كثير من الاحيان ان ينزع الى لغة المحادثة العادية . هذا الى جانب ثقافة شاملة استطاعت ان تهضم افكار عصره وان تتغلغل الى اعمق الخصائص الشعبية .

ومثلاً آخر في المنفلوطي هذا الكاتب الذي لست من المعجبين به كثيراً ، والذي هو في نظر بعض نقاد مصر « كاتب يعيش على هامش الادب العربي فيشوه جماله بالتعريب السقيم » .. ألم يستطع هذا السخيف — بنظر هؤلاء النقاد — ان يستحوذ على اعجاب الكثرة من قراء عصره !! .. ولمَ تسنى له ذلك ؟ .. أليس لوضوحه وبساطته واقباله على معالجة مشاكل الجماهير !.. وبديهي أنني لا أقول هذا في مجموع كتاباته ولكنني احصره في النواحي التي مكنت له ان يربح تقدير ذلك العدد الكبير من القراء ، مقابل خسرانه اولئك النقاد .

واحسب ان بين مستمعي الكرام من يذكر ردّ المنفلوطي على نقاده اذ كان يقول لهم ما مؤداه » « دعوني وشأني فانا لا اكتب اليكم وانما اكتب الى الشعب » .

وانه لمن دواعي الغبطة أن نرى عدداً من الادباء وبخاصة في لبنان الشقيق أمثال « ميخائيل نعيمة ومارون عبود وعبدالله المشنوق» قد ضربوا المثل الصالح على هذه الحقيقة فجعلوا يتذوقون ثمرة نجاحهم في اقبال القراء على التهام ما تخرجه اقلامهم من هذا الضرب المبسط من الادب الرفيع .

واني لأرجو ان يكون في هذه البوادر طليعة عهد جديد يبيح لسورية ولبنان ان يساهما بنصيبهما الموفور في تغذية النهضة الادبية الكبرى في مختلف ديار العروبة فيصبح لهذين القطرين العربيين قسطهما في حركة التصدير الادبي بعد ان كادا يتحولان الى سوق موقوفة على الاستهلاك المحض ..

واخيراً .. وقبل ان اختم حديثي اود ان الفت نظر الادباء الى أنني لا ادعو في ما تقدم — ومعاذ الله ان ادعو — الى الانصراف عن الموضوعات الفنية والاعراض عن البحوث الخاصة ذات الطابع الفكري البحت ، ولكنني اتمنى عليهم ان يعطوا بعض جهودهم لهؤلاء الجماعات المهملة من قومهم ، وفي يقيني انهم لن يندموا على هذه التضحية اذ يجدون امام منتوجهم يومئذ أفقاً اوسع واكثر انتفاعاً بمواهبهم من ذلك المجال الذي حبسوا عبقرياتهم في حدوده الضيقة ..

أجل .. يا سادتي الادباء .. انها لازمة فاجعة هذه التي تعترض ذوب ادمغتكم ولكن عليكم ان تكونوا منصفين في الحكم فتذكروا ان في يدكم علاج هذه الازمة .

انه علاج بسيط لا يكلفكم اكثر من ان تهبطوا من ابراجكم العاجية قليلاً فتتكرموا بالاطلال على هذا الشعب الذي انتم المسؤولون عن توجيهه في هذه المرحلة التاريخية من حياة الوطن العربي .

انزلوا .. انزلوا يا سادتي الى الشعب ولا تحاولوا المستحيل بانتظار صعوده اليكم فأسهل عليه الف مرة ان يمحو الى الابد ذكركم من حافظته من ان يتكلف اجتراح المعجزات .

طرطوس — سوريا　　　　محمد المجذوب

حكاية الارض

☆

بقلم الآنسة سميرة حموي

كانا غريبين، واحد يؤمن بنفسه، وواحد يؤمن بنفوس الناس، واحد يأكل من كرمه، وواحد يأكل على الخيرة من كروم الناس.

ورحلا معاً في هذه القاعة الواسعة التي اسماها اصحاب العقول، الدنيا.

كان الاول لا يتعب في مسيره ولا يستند الى عكاز وكان الثاني كلما خطا خطوة، او اجتاز عقبة، ضرب عكازه في كل صخر، واسند كتفه الى ساق كل شجرة.

وقال الاول للثاني:

« الى أين انت مسافر؟؟

واين تلقي رحالك؟ »

فأجاب الثاني، واساريره تتصبب على بعضها من التعب تصبباً ثقيلاً.

: « انا ضارب في الارض... أفتش عن يقيني كلما وعيته تجددت الهمة في عزمي، وذهب عني هذا التعب المضني الذي حط في اجنحة نفسي فأقعدها عن الطيران البعيد.!!.

وظلا يسيران من سفح الى سفح، ومن أكمة الى اكمة، وكان كلما تعب الثاني تحركت روح الرحمة والحنان في قلب الاول فأقال عثرته، وأصلح عكازه، وشدد من قواه كما يشدد الربيع من قوى الغصون الذابلة.

هوذا الفجر يتفلع من وراء رؤوس الجبال، وها هي الطيور تضرب بأجنحتها أجنحة النور، وها هي الاودية تتنفس من سباتها كما تتنفس اجفان النائم في ساعة التنبه.

ودفع المسافران اقدامهما حثيثاً، وقال الاول للثاني. « الى اين نحن ذاهبان؟ » فقال الثاني: « لست ادري، وحياتك، انا أعلم، كل ما اعلم، انني غادرت بيتي كما يغادره كل المسافرين، واخذت معي زادي وعصاي وقلت لهذه القدم:

« دونك الطريق..، فأخذت عرض الطريق وسرت ولم ازل اسير..».

« وأنت.. الى اين تدفع عينك؟؟ » فقال الاول:

« وأنا ايضاً خرجت من بيتي كما يخرج كل المسافرين، ورحت اضرب في الارض مشرقاً ومغرباً، ولم اتعب، لقد اعتادت عزيمتي التطواف والرحيل، فقد هاجرت قبل اليوم ودرت في التراب دوراناً بعيداً وكنت مثلك احمل اجنحتي المتعبة وعصاي المتعبة،

والكني ذات يوم نزلت في سفح قمة عند نبع ماء تحت ظل سنديانة ونمت كما ينام الاطفال ، ثم استيقظت كما يستيقظ الكبار على الف شبح وشبح ، وألف طيف وطيف ، واوراق تصفق تصفيقاً ، ومياه تهدر هديراً ، وأفيـاء تنبسط انبساطاً ، ورأيت على النبع انساناً عجيباً يحمل في يده عكازي وحطام اجنحتي وهو يقول لي :

هذه العكاز للمساكين الضعفاء ، وانت لست بضعيف .

وهذه الاجنحة للمرضى المنهوكـين ، وانت لست بمريض منهك . . .

اشرب من هذا الماء .

فمددت شفتي ورحت أشرب . . . استمع الى هذا الحفيف .

فمددت اذني ورحت أسمع . . . شمّ هذا العبق .

فأرسلت انفي ورحت أشتمّ . المس هذا التراب .

فمددت أناملي ورحت ألمس . . مرّغ جفنيك في هذه الاضواء .

ففتحت جفنيّ ورحت اتمرغ . . ضع خديك على هذه الضفة .

فوضعت خدي ورحت اتأمل . . ثم شعرت وكأني في حلم ، وكأن هذه الاطياف التي مرّت بي انما هي اطياف الوهم والظنون ؟ وحملقت ملياً فلم اجد عكازاً ، وتطلعت ايضاً فلم أجد انساناً يتكلم الي ولا ظل انسان .

ومددت يدي على جسدي اتلمسه وأجسه وأصغي الى نبضه فوجدت وكأنما خلقت خلقة جديدة .

لقد شممت رائحة الارض في مسارب لحمي ، ورأيت خفق الماء في خفقة نبضي ، وسمعت حفيف الاوراق في لوحة صدري ، وشعرت بمرور النسمة في نوافذ اذني ، وشاهدت في عيني وانا انظر المـاء شيئاً كأنما هو الماء عينه ؛ فقمت وكأنني لم اكن متعباً ، ولم اكن منهكاً ، ولم اكن خائفاً ، ومشيت وكأنمـا الارض تحت قدمي شيء من أخمص قدمي .

وكأنما السماء فوق رأسي شيء من قبضة يدي .

منذ ذلك اليوم العجيب تعلمت السفر وحدي ، وكنت كلما حركت مقاذيف زورقي ، وشرّعت اشرعته كلما حسبت نفسي وكأنني أنا الابحار نفسه .

لقد علمني انسان غريب او ظل انسان ، او انسان مني كيف تتكئ هذه الذات على نفسها ، وكيف ترحل في الارض او في الماء او في الهواء وكأنها هي الارض او الماء او الهواء .

وتلفت الاول ليرى اثر كلامه في صديقه الثاني فلم يجده .

دويّ ملأ الوادي ، لقد سقط الرجل المتعب هو وعكـازه وأجنحته من شفير الوادي الى اعماقه ، الى النبع نفسه تحت تلك السنديانة الظليلة الوارفة . وسمع المبحر الاول من قـاع الوادي صوت المبحر الثاني وهو يقول له .

يا رفيق الطريق ها هي عكازي ، هنا على هذه الضفة ، عند هذا الينبوع ، حقاً ، لقد تحطمت في السقوط قدمـاي ، ولكني لاول مرة في حياتي اشعر بان المقعدين اليقظين أسرع من غـير المقعدين .

في هذا التراب الذي تململت عليه ، وتحت هذه الظلال التي افاءت على نفسي ، وحوالي هذا الينبوع الذي اروى عطشي ، وعند هذه الصخرة التي سال عليها شيء من دمي ، وشيء من نفسي ، تعلمت كيف يسير الناس من غير عكاز ، ومن غير يد تسندهم في مواكب الناس .

آمنت بالارض نفسها ، بكل ما فيهـا من جهد وابداع ، وبكل ما فيها من ماء وهواء .

آمنت ان الانسان الذي لا يحمل في صدره تراباً ، وفي يده تراباً ، وفي مقلتيه تراباً ، هو الانسان الذي لا تعرف اجنحته قوة الحياة ، ولا تتمكن ضلوعه ان تثبت امام الاعاصير الجامحة .

في التراب تسير القدم الثابتة على غير قلق ، وفي التراب تولد الحروف التي صنعها الانسان الاول ليملأها من خلجات فكره وخلجات قلبه فكان ان ملأها من حبات الرمـال والمرمر في شواطىء وطنه ، ومناجم جباله العالية .

ان الذين يعيشون في ابراج العاج هؤلاء شأنهم شأن العاج زينة للبيوت المترفة التي تزلف عليها عيون السخرية من كل صوب .

ولم لا يكون الادب هذا الغناء الذي يغنيه المسافر في الارض كأنما يغني للارض نفسهـا ، والذين يكتبون الادب من غير ان تتنفس ذواتهم في تنفس تراب بلادهم هم الذين اضـاعوا الطريق وعبروا في مواكب الحياة مع الناس الذين لا يبقى من عبورهم بين الظلال ظل .

بين رأس هذا اليراع وهذا الازميل وهذا القوس وهذه الريشة وكل هذه الادوات الفنية المبتدعة العجيبة وبين صفحـات هذه الارض سلك عتيق قديم ربطه في ليلة من ليالي القدر العتيق القديم إله عابر كان يلهو في ساعة التجلي باوتار قلبه .

سمير حموي

لم اركب السيارة ولم اصغ لدعوات سواقي التاكسي ، فاني اردت ان اذهب الى رأس بيروت بالترامواي، كما كنت افعل منذ ربع قرن

وصرّت دواليب الحافلة على المنعطف ومالت نحوه ، ثم زلزلت زلزالها ، فلما تأكدت انها سكنت ، صعدت اليها بدلاً من ان أثب كما كنت افعل في الماضي ، وما ان بدأت الحرارة تحمّ مقعدي حتى ظهر مفتش الترامواي « عون » فاذا هو كما عرفته بشاربيه الرفيعين تعلو وجهه شبهة من صفرة ، وفي مشيته غطرسة الرجل الجري ، يعلو يديه قفازان من صوف يتقي بهما برد ذلك النهار، فتطلع بي وغمزني سائلا : « باس — Passe » اجبت ، « باس » فعلم ان ليس معي تذكرة ولا ثمن تذكرة ، وان « الباس» — مثل ولائه لشركة الترامواي — غير موجود .

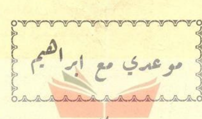
وتابعت الحافلة سفرتها تسرع وتبطىء تقف وتسير ، فلما حاذينا مفرق ميناء الحصن واجهني حسني شمعان وصاح : كيف لم ارك ؟ .

قلت كيف تراني وانا شاخص الى من وضعت الكلب على حضنها ؟ فابتسم ودار حتى صار ظهره الى مقدم الحافلة ثم قفز منها وهي مسرعة ، رأيته يفعل ذلك مئة مرة من قبل .

وحين وقفنا حذاء بوابة الجامعة الاميركية ، تسرّقت من الحافلة ونزلت مخفياً رأسي ، فلم يرني اديب فيصل صاحب الرستوران الذي يواجه البوابة الكبرى ، مخافة ان يطالبني بذلك الحساب القديم ! ودخلت بوابة الجامعة فنظرت الى البواب العم اسعد يحدجني بنظرات مريبة فحييته متأدباً فرد التحية بشفة واحدة ، وسرت الى داخل الجامعة حيث تواعدت على ان ألتقي بابراهيم .

وتطلعت الى المقعد تحت الشجرة التي تحاذي بناية « العلمية » فاذا ابراهيم طوقان ينهض ، وقد وضع سبابته بين صفحات كتاب كان يقرأه ، واقبل عليّ باسماً كما عرفته ، اسمر قصيراً ، على شفتيه تلك الابتسامة الحزينة الساخرة ، وقال :

— لقد تأخرت عن الموعد يا سعيد .

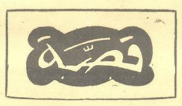


هذه ثلاثة وعشرون سنة مرت ، أتذكر لقد اتفقنا على اربع سنوات ومئة الف دولار .

قلت :— عفوك يا إبراهيم لقد اخلفت مواعيد كثيرة غيرها ولكن . .

قال .— لا تعتذر اني اعرف كل حكاياتك . اجلس الى هذا المقعد قربي .

قلت .— وانت ألم تخالف ؟ . لمَ تعجلت المسير عنا ؟ احقاً ان فلاناً كان من بعض اسباب رحيلك الباكر ؟ لقد ولد دودة وشبّ صلاً .



بقلم سعيد تقي الدين

فقهقه ابرهيم واجاب : — ان فلاناً احقر من ان يعجل سيري او يؤخره . كنت اجوّد القرآن واحلم بقصيدة حين خطوت تلك الخطوة ، فصرت الى حيث انا واني هنا لسعيد .

— ذكرت انك تعرف حكاياتي ، هل في وسعكم هناك ان تبصرونا هنا ؟

— نرى من يهمنا امره .

— وكيف . . . يعني . . . اردت ان اقول . . .

— تود ان تعرف هل نحن راضون عن سلوكك ؟ ! نصف على نصف يا سعيد .

— مثلاً .

— كنا نحترمك اذ وضعت في بطاقتك قصيدتي في وداعك ، وحملتها تعويذة تتقي بها عدوان الدهر . ولقد احتقرناك حين مزقتها .

— اراك تستعمل صيغة الجمع . . من كان يراقبني ؟ .

— انا وسعيد ديوس وعبد الرحمن الاسطه . رأيناك في جمع هاربين في الجبال ، اذ لاح الجنود اليابانيون . فقلت لرفيقيّ : اسمعا تفكير سعيد ، تراه يمزق قصيدتي مخافة ان يشتبه اليابانيون بانها رسالة عسكرية من الاميركان . .

فصاح عبد الرحمن الاسطه ضاحكاً : انه سيمزقها .

— وما الذي جعله متأكداً ؟ .

ذكر انك كنت . رفيقه ذات ليلة في بيروت تعلقان المناشير ضد الفرنسيين ، فلما اقتربت منكما الدورية رميت بالمناشير في القناة . وقال عبد الرحمن : من رمى

المناشير في شبابه خوفاً من جنود السنغال، يمزق القصيدة في كهولته خشية الجنود اليابانيين! اما انا فكنت واثقاً انك لن ترمي بزادك الروحي.

— وسعيد دبوس؟.

— حمدل وبسمل وقال: لننتظر.

— وحين رأيتموني امزق القصيدة؟

— علت قهقهة الاسطه، واستمر سعيد دبوس صلواته، اما انا فخجلت.

— ولكن يا ابرهيم ألم تلاحظ لو ان اليابانيين التقطوا قصيدتك لكان لي في ذلك مئة شخص؟ أمن حصافة الرأي.

— ان العظمة هي في فعل ما هو عبر حصافة الرأي وفوق ما يوحيه العقل.

— غير اني استعضت عن قصيدتك بشيء جميل. هذا كتاب ابيك يعزيني بك. وضعته حيث كانت قصيدتك؟ دعني اقرأه عليك.

— لا تقرأه فاني اذكره: انا الذي امليته على ابي!.

قلت: تسوئني حادثة تمزيق القصيدة. ألم تشهد مني شيئاً جميلاً؟.

— بلى! حين قفزت من فراشك اذ اصطدمت عيناك بكلمة «المرحوم» امام اسمي. لقد سهدت معك تلك الليلة وفرحت لدموعك، ورأيت الشعر يتراقص على شفتيك ونظرت اليك تتسرق الى المطبخ تشعل النار للقهوة ثم اطفأت النار. كان بينك وبين الشعر فنجان قهوة. لم أطفأت النار.

— نهاني الطبيب عن القهوة.

— ارأيت كيف يقتل العقل الكثير من جمال الحياة؟. كنت تواقاً لسماع رثائك اياي.

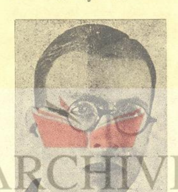
ولقد آلمني عتاب ابرهيم فقلت محاولاً تغيير مجرى الحديث:

— بالطبع انت في الجنة، هل تعرف شيئاً عن المكان الآخر. فليس منا من لا يأمن ان يزلق الى هناك، واريد ان...

فضحك ابرهيم ساخراً وصاح.

— اي جنة واي جهنم؟ نحن هناك في غمرة من نور وطوف من موسيقى، كلنا معاً وفي مكان واحد. فاما الجنة واما جهنم فهما هنا على هذه الارض يشيدهما كل منكم لنفسه..

قلت وقد انهزمت عني مخاوفي: — اذاً لا



الشاعر ابراهيم طوقان

بأس باقتراف الآثام والتنعم بالمحرمات، اذ لا ثواب ولا عقاب؟!.

فقهقه ابراهيم وقال: — من يقوى ان يمنعك من ان تصب الزيت على ارديتك وتشعل جسدك؟ او ان يحول دون شدك الانتقال الى عنقك والوثوب الى البحر؟ ان الفضيلة تحمل الثواب تحت ابطها، وكذلك الرذيلة طي ارديتها العقاب. كل من رجع الينا من هذه الدنيا حدثنا عن آلام ملذات الموبقات. ولذة آلام الفضيلة.

صحت: ما تعني بقولك «كل من رجع الينا»؟ أفلستم هناك في الدنيا الدائمة لا تبرحونها؟.

اجاب: نعم. غير ان بعض الارواح تطفر الى هنا حيناً بعد حين، فترتدي الاجساد وتتفسح لمحة من العمر، وهي على هذه الكرة اشبه بغلمان خرجوا الى فسحة من غابة واعطوا حرية العمل والتجوال. فاما بعضهم فيطربون ويعملون ويسعدون؛ وأما الآخر فيشيدون من اغصان الاشجار اقفاصاً يسجنون بها نفوسهم فيحسبهم الناس في قصور ينعمون.

قلت: وهؤلاء الفنانون من شعراء، مثلك يا ابرهيم، وموسيقيين؟.

فاجاب: اني اقرأ أفكارك. انت تعني قصيدتي «تلك الحمائم» واشباهها. نحن هناك نفتح الكوى حيناً بعد حين فاما من ارهف منك الآذان، فيسمع الالحان العلوية، ويصيغها شعراً وموسيقى.

وكأنما لاحظ تلعثمي واضطرابي وخجلي فوضع يده على كتفي برفق مواسياً.

— لا. ما انا عاتب عليك يا سعيد. ولا انا ناقم على اخي احمد، لقد حاولت ان «تقوم» شعري «وتوجه» تيارات تفكيري.

— ما كان اسخفني. ولكنني، مع اخيك احمد، لم نبتغ لك الا النبوغ.

— بلى لقد اردت لي النبوغ والشهرة حتى تبجح يوماً من الايام انني انا الشاعر الذي أتم بتعاليمك وتشير اليّ فخوراً بنفسك، ولقد غرّر بي الى الاصغاء لك اننا في هذه البقعة من الارض نحترم العمر وكنت انت واحمد اكبر مني سناً. ليتني بقيت اترقب النور من كوى السماء، وارهف اذني الى الالحان التي تتسرب من من الشبابيك العليا، «وادوزن» او تلز

قيثاري على الصدى الذي تجاوب في نفسي دون ان استمع لكما .

قلت : انني اشعر بشيء من الخيبة في لقائك يا ابراهيم . لقد حلمت بمثل هذه الجلسة الفمرة وسكبت الكثير من الدموع لذكراك . وها انت الى جانبي لا تبكي ولا تطرب ولا تنفعل ، تراكم تتحولون الى جماد حين تجتازون الحدود ؟ .

وكأنما برم ابراهيم بحمقي فاجاب :

— ان الشهية للطعام هي على قدر الجوع ، والمرء يلتمس الطعام لحاجته اليه وكذلك الشأن في العاطفة : فانها على ارهفها حين تفتقر النفس ، وان ما تسمونه حباً واخوة وولاء ، ما هو الا توق الروح الى امتلاك ما ليس فيها . ونحن هناك كاملون ، لا نحب ولا نبغض اذ لا يعوزنا شيء .

— اتريد ان تقول لي ان شيئاً نبيلاً مثل شغفي بك سببه فراغ في نفسي ؟ .

— فراغ واثرة ، ان في قرارة نفسك طموحاً لان تكون شاعراً وما انت بشاعر .

— افهم ذلك بكثير من الحسرة .

— ولقد ظفرت بالشاعر فيّ — انا الذي وقرك وكرمك — فتوهمت انك ظفرت بالشعر ، فاذا انا اطفىء التهاب عطشك .

— ألست تقسو . .

— ثم انك كلفت بي حين نظمت لك قصيدة وداعك :

الى من تسلم ذاك اليراع
وقد حان يوم النوى والوداع ؟

وذبت حناناً الى لقائي منتظراً قصيدة في استقبالك .

وقهقه ابراهيم من جديد .

ولقد تكاثرت عليّ هذه اللطمات فاردت الانصراف متأدباً فسألت :

— هل اراك ثانية ؟ .

— تراني حيث تطلبني وحين تطلبني .

قلت : لئن اجتمعت بعمي امين تقي الدين . . فقاطعني :

— هو حيث اردت لقاءه ؛ هناك على نبع الصفا وهو كما عهدته يبغض العزلة ، فسترى هناك معه سليم سركيس ، وانطون الجميل ، والياس فياض ، وطانيوس عبده .

اجبت : اردت ان أكل اليك امر ابلاغه انني لا اريد الاجتماع به .

— لقد بدأت الحكمة تمس روحك ! فان من يحلم حلماً جميلاً احمق ان فتح عينيه .

— وهل من وصية الى اخيك احمد ؟

— شكراً . اني واياه الآن معاً في نابلس .

— وهل من امر اقضيه لك ؟ اولادك . .

— ان اولادي واولاد الناس في نظري سواء . .

ونهضت وقد بدأت غصة تخنقني وابتلت عيناي ؛ فحسبت ابراهيم حانقاً :

— حذار . . هي غصة مزيفة ، ودموع زور ، تفرحني ولا تحزنني .

قلت : ودموع الاسى الصحيحة ؛ الم ترني اذرفها ؟ .

— بلى . رأيتها مراراً على خديك .

— وهل احزنتك تلك ؟ .

— ابداً . — ولماذا ؟ .

— لانك بعد ان جفت تلك الدموع فعلت . . .

فقاطعته معتذراً :

— فعلت ما يفعله جميع الناس بعد نوبة حزن . . .

— اذاً فلماذا تنتحبون ؟ .

— وماذا تريد ان نفعل ؟ .

— ما يفعله الايرلنديون « كلوا وارقصوا واطربوا واشربوا » .

وفجأة ثار تمردي فلم أعد اشعر أن الذي هو في جانبي صديق حبيب ، بل تفجر عدائي له ولم احسب نفسي الا من معسكر هذه الدنيا المعادي لجنود سكان الدنيا الثانية واردت ان يصغي اليّ باذنيه الاثنتين فمددت يدي ابغي ان اقبض على ذراعه فاذا بابراهيم طوقان لم يعد هناك .

وتلفت حانقاً ، فراعني ان جمعاً من تلامذة الجامعة تجمهر وهم بين واجم وضاحك ، وتبصرت في وجوههم فاذا بينهم جبرائيل جبور ، فحييته : « مرحباً جبرايل » فلم يرد عليّ الجواب . . . تراه حنق اذ عريته من لقب « الاستاذ » ؟ واعدت السلام وعاد الى الصمت الى ان انحلت عقدة لسانه فصاح بي :

— سعيد لقد كنت خلال نصف ساعة تومىء وتلوح بذراعيك في الهواء وتكلم نفسك وانت على المقعد وحيد ؟

قلت : لم اكن وحيداً . . . كان الى جانبي ابراهيم طوقان ! .

— ولكن ابراهيم طوقان مات منذ سنوات .

— وانا مت منذ سنوات .

قال : سعيد ، كيف صحتك ؟

— صحتي جيدة ، ولقد ذكرتني بأمر كيف صحتك يا استاذ ؟

وخلت اني رأيته يغمز باحدى عينيه حين تكلم .

— اريد ان اقدم اليك عبد الستار الطرابلسي .

وضاعت يدي في احدى زوايا كف الطرابلسي ، وكدت أضل عن مكان يدي من كفه ، لولا ان شعرت بتكسر عظام اصابعي ، وسمعته يقول :

— تشرفنا . هل لك ان تطوف المعهد ، وتلمس رقينا الرياضي ؟ .

عابر سبيل ...

الى روح غاندي

☆

المارة رأوني اسير في الشوارع
مترنماً باناشيد الحب ،
مترنحاً
وفي يدي قيثارة
نسجت خيوطها من نياط قلبي
اوقع عليها لحناً خالداً من ألحان حبي
ومن جوانب فؤادي
تتفجر ينابيع الحب الازلي
فترد اليها مواكب العاشقين . . . اتباعي
كما ترد النهر الجاذر
عند المساء لارواء العليل
اوقفوني ، حين فرغت من الانشاد
وسألوني : الى اين تتجه
ايها الاله الخالق والجبار المبدع ؟ ! !
ومن هو السعيد الذي تجد في اثره ؟ ! !
انه حبيبي وساكن قلبي وخديني
كل ما بي يهفو اليك ايها الحبيب
ويردد اسمك المعبود
منشداً ترانيم الحب الازلي
المتقد في قرارة نفسي .
فترجع صداه جوانب قلبي
وقد اسكرت جوه الصافي الاديم
انغام ساحرة
توقعها العذارى على قيثاراتهن
بعد ان ارتوين من معين حبي السرمدي
حبيبي لي وانا له
رأيته من بعيد فناداه قلبي
وفتحت له ذراعي
اقبل نحوي راكضاً كأنه يمشي على الغمام
وعيناه تشعان حباً
وارتمى بين احضاني
حملته الى هيكل قلبي
واضفيت عليه غلالة من الحب قانية
وجعلته في حرز حريز
حبيبي زهرة فواحة الاريج
نبتت على جوانب المستنقعات
ذهبت الى حبيبي وانتشلته
من وهدة ماضيه
ولكنه غافلني وعاد الى مساكنه
تألمت لفراقه . . . ومضيت افتش
عن حبيب جديد بين ازاهر الربيع
فلم تقع عيناي على الزنابق
الطاهرة النقية الوفية
اجهدني الطواف وسخرت مني الطبيعة
ولكنني لم اتعب من المسير

فيصل غصن

فاجبت متطلعاً بيدي . لقد لمست كفاية واني لم اتشرف ، ولا اريد مخاطبتك . . .

قال : لماذا ؟

قلت : لانك رجل يجهل مهنته . فانت « تدلل » انك تشتغل في الرياضة . ولست انت في حقيقة الامر الا ممتهناً « العتلة » .

وقبض كابوس على مؤخرة عنقي ، وشدّ كابوس آخر على جنوب جسدي وسبحت في الاثير عبر البوابة الكبرى ، ولم اشعر الا وقد سقطت على كرسي رستوران اديب فيصل ، واديب يتفرس بي . وصحت بعد ان تبينت ان لا سبيل الى الفرار :

— « مسألة الحساب يا اديب . تذكر ان موسم الزيتون في ذلك العام . . . »

اجاب اديب « الحساب يُسدّد في هذه اللحظة » .

واقتلع بلاطة انتشل من تحتها ٢٢ قرشاً وقال هذا « ردودك » لقد سُدّد الحساب .

قلت غير مصدق :

— تريد ان تقول ان ليس لك دين علي ؟

فنفخ اديب وصاح « ان اخفاقك في الحياة سببه انك تتوهم ان عليك ديناً حيث لك « ردود » ! وكأن منظر المال اعاد الى نفسي الثقة فقعدت وصحت بلهجة الباشاوات « اعطني طنجرة قهوة » .

— ولماذا طنجرة ، لا فنجان .

— لان الطبيب منعني عن القهوة .

فتساءل اديب مرتاباً : كيف صحتك انت ؟

— جيدة . على فوقه ، كيف صحتك ؟

وبعد ان ابتلعت اربعة ليترات من القهوة وعددت الـ ٢٢ قرشاً مرة ثانية ، ثار بصدري الجشع فقلت لاديب :

— انت غلطان في الحساب . اني اذكر ان لي عليك اكثر من ٢٢ قرشاً . اذكر جيداً ان لي عليك ٢٣ قرشاً .

وبينما كان اديب ينتشل عصاه ، قفزت الى الشارع وراح يعدو في اثري ، فلما كاد يدركني ابصرت بحافلة الترام الكهربائي الى جانبي فقفزت اليها :

« باس ؟ » صاح عون .

« باس » صحت بعون .

القاهرة — سعيد تقي الدين

جنية الفن

مهداة الى روح اسمهان ...

في غمـار الأسى ... وحز القيود
وحيـاة ... قد كُفِّنت بالجمود
وقف الروض ... ظـامىء الاملود
يشتكي رقـدة الهوى والنشيـد
أفيخلو عـلى ممر العهـود ؟
من أراجيع « صادح » غرّيد
يلهب الشعر ... والهوى من جديد

أطرق الروض .. أي صمت مرير
مطبق بالأسى .. شفـاه الزهور !
ليجف الغـدير .. إثر الغـدير
وليحُل فيـه كل غصن نضير
ما عساه يغدو .. بغير طيور !!.

أي معنى .. لظله الممدود ؟!..
لسواقيه ؟ .. للنسيم الهدود ؟!.

مـا لأفنانه ؟ ... اذا الطير غنى
جمدت .. لا تريـد أن تتثنى !
اين « قيثـاره » الذي .. لو أرنا
أطلق الليل جانحيه ... وجُنّا ؟..
أرسليه يا ربوة الخـلد ... إنا
ظمأ قاتـلٌ للحن الخلود
يوقظ النار ... في عروق الجليد

ما امرّ الصحراء ... من دون واحٍ !
ما أجف الربى ... بلا صدّاح !
ايهـا الفن ! .. أنت برء الجراح
ورسول الارواح ... لـلارواح
أين ساقيك ؟ ... هـذه اقداحي
تتلظى .. لخمرك الموعـود
بين ساجٍ .. وصاخب عربيد .

هاتِ « جنية » الهوى .. والاغاني !
هات « أغرودة » الصبا ... والاماني !
هات من عـالم الخلود الثـاني !
« وترا » خافقا ... بكل جنـانِ
اي روح ما اهتز من « اسمهـان » !
وصبا .. وانتشى .. وقال : أعيدي !
رعشة الفن لا تملّ ... أعيدي !

وترامت خلف الدجى .. اصداء
فاذا الارض نشـوة ... والسماء
وتهادى صبحٌ ... وماج ضيـاء
وبـدا الركب : فتنـة عذراء
وصبـايا ... يهزهـن الغنـاء
يتمايلن .. خاطفات القدود
حول «هيفاء» . كالخيال الشرود

وأطلت « جنيـة الفن » سكرى !
تملأ الخـافقين حبـاً وشعرا
فانفحي يا رياض ... زهراً وعطـرا
وتفجر يا نبـع ... شهداً، وخمرا

سوف يبقى النبوغ في الكون سراً
ووجوداً .. يرف فوق الوجود
فوق آفاق «فكرنا» المحدود

هات يا «أرغن الخلود» المفدّى !
سكرة الفن ... ليس تعرف حدّاً
طر بنا نحو ما نسميه : خلدا
نسمات السماء .. أحلى ، واندى
ضج ركب «الحياة» من ان يُشدا
بالقيود الثقال .. فوق الصعيد
يرقب النور والذرى .. من بعيد !

زلزلي «يا ابنة السماء» القلوبا !
سكر السامرون .. «نايا» وكوبا
إسفحيه .. كالخمر ... لحناً طروبا
يلهم الشاعر الهوى والنسيبا
ويناجي به الحبيبُ ... الحبيبا
واتركيه ... على شفاه الغيد
رقصات .. في كل عرس وعيد

أنا اهوى الالحان .. نبض حياة
ودموعاً .. طروبة العبرات
وجراحاً .. تلف بالبسمات
لا نواحاً ميتاً ... على اموات
لا عيوناً تسيل فوق الرفات
أنا اهوى ... على رنينك عودي
ان أحس ... اختلاجة الجلمود

«إسقنيها» مع الندامى ... اسقينها !.
واصهري الشعر .. واصهريني فيها
تلك كأسي عطشى .. فلا تتركيها
تتحدى عينيك .. ان تسكريها
آهة بعد آهة ... وانظريها
كيف تهوي على فمي .. كالشهيد
غمغمات يصحن : هل من مزيد ؟

يؤثر الفن .. لو نسينا المكانا
واختصرنا .. بقبلتين .. الزمانا
ما وهبنا الشباب .. والعنفوانا
لنداري جراحنا .. وأسانا
لن تراني يا قلب أشكو سنانا !
خضبته كف الهوى .. بوريدي
لن يراني اللهيب غير وقود

إيه «اغرودة الزمان» !.. سلاما !
آلم الحب أن تكوني مناما
لم تزالي أنشودة ... تترامى
تحضنين الدنيا ... أسىً ، وغراما
وتلاقين بالعراق ... الشآما
وترفين في جناحي «مريد»
ينقل النيل عنه اشجى قصيد

حرقة انتِ في فؤاد الغناء
ان تنامي عن الكؤوس الظماء
قبل ان تشهدي مع الصحراء
يوم عرس الحرية ... الزهراء
قبل ان تصدحي بلحن «الجلاء»
وتهزي به رفاة الجدود
يوم نمشي .. على حطام القيود

سائليني .. عن مسرح الابديه !
عن بلاد الالهام .. والشاعريه
كيف نهفو .. لقطرة عربيه
من حياة فيها .. ومن حريه
يا ربوع الجمال ... والعبقريه !
سأغنيك ، ان أجدت نشيدي ،
قطعاً من صواعق .. ورعود

شغل الحب .. والصبا والرغاب !
لست حراً ... لتعصفي بشبابي
اهدئي الآن .. واقذفي بركابي
في الاعاصير .. في لهاة العباب
أنا لو حقق الزمان طلابي
عشت وقفاً على «العيون السود»
وأذبت الحياة .. في «عنقود»

بغداد سليمان احمد العيسى

منزلة الشعر بين الفنون

بقلم ابراهيم العريض

☆

١١ ـ نماذج عصرية

والآن نستعرض نماذج عصرية فيها ما رأينا في اخواتها الماضية من اوجه الشبه مع سائر الفنون .

ولكن قبل ان نمضي في الاستعراض ، لا نرى غنى عن سوق كلمة في محلها لازالة ما لعله علق بالاذهان من اشتباه . فنحن بعرضنا النماذج — على هذا الاساس — لسنا بصدد المفاضلة بين اصحابها . كما انه لا يمكن المفاضلة بين الفنون الجميلة في روائع آثارها . واذا كان بعض الناس يميل نحو هذا الفن دون ذاك بين الفنون الجميلة . او يؤثر هذا النوع على ذاك في عالم الشعر ، فانما مرجع ذلك الى الذوق الذي لا يقدم او يؤخر في القضية شيئاً .

ان الشعر — قبل كل شيء — بنية حية . وهو كغيره من هذه الاجسام التي تلبس ثوب الحياة يتسم في مظهره الخارجي — على تنوع هذا المظهر — بما ندعوه بالجمال ، تلك الكلمة الواسعة المدلول التي ان دلت على شيء — فكما قلنا مرة — تدل على صفه مشتركة نحس بها في الاجسام الجميلة دون ان نستطيع لها تعليلاً . وغاية ما يقال في التمييز بينها هو ما قاله اسحق الموصلي بحق « تحيط بها المعرفة ولا تحدها الصفة . . » . وهذا التنوع في مظهر الجمال هو الذي يفتح الباب واسعاً امام الذوق الشخصي ويفسح المجال لتحكمه . كشأنه امام الغواني الحسان اللائي يرشحن لمنصب ملكة الجمال . فاذا كان تماثل الشعر مع ملكات الجمال في صفة الحسن هو مصدر ما يبعثه الشعر فينا من هزة تعم آياته كلها . فان نكران اثرها في الافراد ضرب من العبث . والتمحل لها في مختلف الاذواق خطوة خاطئة .

ومن هنا يستدل اهل الذوق ان لقب « امير الشعراء » هو من السخافة بمكان .

***

وما دمنــا بصدد هذه القضية فمن الخير ان نذكر ايضاً ان الاذواق تختلف بين الامم اختلافها في الافراد . فنحن اذا جاوزنا اثر هذا الاختلاف في الذوق العــام بين عصورنا الادبية — وقد استعرضنا طرفاً منها هناك — نجد ان الامم ايضاً تختلف ما بينها في اذواقها اختلافها في اللغات .

والحق ان من الصعب الدلالة على اثر هذا الاختلاف في آداب غيرنا دون الالمام بظروفها التاريخية — في كل لغة — ومرجباتها ، والاتصال -- في كل ادب — بأمثاله وآياته ، فالادب الفارسي مثلاً خيالي بحت مع غلبة الموسيقى عليه . بينما الادب الانكليزي واقعي بالمقارنة تتأرجح به العاطفة هنا وهناك . كأنما الاختلاف بينهما هو الاختلاف بين فني الرقص والموسيقى في اسلوب الايحاء . بمعنى ان الاول ناطق مترنم والثاني صامت عزوف .

فاذا صح ان تكون الابيات التالية — مقتبسة من ادبنا — نموذجاً للادب الفارسي بصورة عامة . وهي لابن دريد :

أنت بين ثوبي نرجس وشقــائق ... وحمراء قبل المزج ، صفراء بعده
فلما مزجناها حكت خدّ عاشق ... حكت وجنة المعشوق قبل مزاجها

فان هذه الابيات لكثير عزة تصلح ان تتخذ مثالاً للظاهرة التي يتميز بها الادب الانكليزي في قوميته .

وأدنيتني . . حتى اذا ما سبيتني ... بقول يحلّ العصم سهل الاباطح
تجافيت عني حــين لا لي حيلة ... وغادرت ما غادرت بين الجوانح

على اننا نستطيع ان نلمس اثر هذا الاختلاف بين اذواق الامم احياناً بما يكون له من شأن في نفس آدابنا ولغتنا . وما يتركه من طابع مأثور في اساليب الايحاء عندنا . فقد اتصل حبلنا بحبل الفرس في العصر العباسي فرأينا نتيجة هذا الاختلاط بين القوميتين فيما نزع اليه الشعر العربي في صوره من المبالغة والغلو . وفي خطابه من الاجلال والتفخيم . وفي اوصافه من الزخرف والتهويل . فهذا الاثر على وضوحه في الادب العباسي — كما نحن الآن — وكثرته هناك ، غريب عن روح لغتنا واجنبي في الفطرة التى نشأت عليها تحت سماء البادية . واليك هذا الشاهد من قول ابي بكر الارجاني .

يرمي فؤادي وهو في سودائه   أتراه لا يخشى على حوبائه
تاه الفؤاد هوى ، وتاه تعظماً   فمتى افاقة تائه في تائه
علق القضيب مع الكثيب بقدّه   متجاذبين لحسنه وبهائه
حتى اذا خاف النزاع تراضيا   للفصل بينهما بعقد قبائه
ذو غرّة كالنجم . . يلمع نوره   في ظلمة أخفته عن رقبائه
بيضاء . . لما آيست من وصلها   وبدت بُدو البدر وسط سمائه
أترعت في حجري غديراً للبكا   فعسى يلوح خيالها في مائه

فأول ما يلاحظ هنا . . الغزل المذكر . وهذه ظاهرة ان جاءتنا من الفرس ، لان لغتهم لا تميز في الخطاب بين الجنسين ، فلا عذر لنا نحن في قبولها على علاّتها . لولا تضافر اسباب اخرى يرجع اليها في مظانها من التاريخ .

وفي العصر الحديث اتصل حبلنا بحبل الفرنجة فرأينا من اثر هذا التزاوج بين الادبين ما نزع اليه الشعر اخيراً في صوره من الرمزية والالوان ، وفي خطابه من التقديس والطهر ، وفي اوصافه من الطرافة والتحليل . وهذا الاثر ايضاً على تفاقه في ادبنا الحديث — كما قد لا نرى الآن — غريب عن روح لغتنا كذلك واجنبي عن سليقتنا العربية . وسيأتيك نبأه بعد حين . ومن خير نماذجه قول صلاح اللبكي تحت عنوان « قارورة الطيب » (وهي من اروع قطعه) .

يا نضرة الاحلام . . يا طيبها   ويا حنين الوتر المشفق
قبلك لم نصدح على أيكة   وُرق . . وعود الروض لم يورق
ولم يشقّ الزهر أكمامه   والجو بالاطياب لم يعبق
تفتّقت عيناك عن بسمة   جرّ ذيول النور في المشرق
جنّ فؤادي . . فاعذري خافقاً   قالت له عيناك : عش واخفق
بالروح . . لذات الهوى من فم   بالطل — مثل الفجر — مغرورق
تحن اجفاني اليه . . فيا   ليت على سفح الهوى نلتقي
فما شميمي طيب قارورة   مغرية . . ان هي لم تحرق

فأول ما يلاحظ هنا . . هذه الرعشة الروحية . وتلك ظاهرة اقتبسناها من شعر اوربا العاطفي (الرومانطيقي) الذي يمتزج فيه حنين القلب بحنين الوتر تحت اروقة الكاتدرائيات . مع ان الاحساس في ذاته غير اجنبي عنا ، فقد سبق المتنبي الى اظهاره — على اسلوبه الفخم — في قوله :

زوّدينا من حسن وجهك — ما دا   م - فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك في هذه الدنـ   ـيا ، فان المقام فيها قليل

والآن فلنعرج على النماذج العصرية .

في الشعر العصري نعثر . . على قطع هي اشبه شيء بالنحت من جهة التأثير . تخال مهما ان الشاعر حقاً يلقي اليك بقطعة منحوتة من صخر . . في سكون رهيب . كهذه المقطوعة الرائعة لفؤاد الدين الخطيب في مدينة سلع :

بلد كأن يداً دحته ، فخرّ من   قلل الجبال ممزق الأوصال
فهنا الصخور على الصخور تحطمت   وهناك منه حقيقة كخيال
او كالطلاسم فوق مهرق ساحر   في كل زاوية خبيئة حال
موت تطوف به الحياة ، وموقف   خشعت لديه طوارق الاهوال
تمضي القرون على القرون كأنما   — وقد انحدرن اليه — بضع ليال

الا ترى معي ان اشعاعها بالمعاني لا يكاد ينقطع بعادتها . كأنما انت من روعة « سلع » — هذه المدينة الدارسة التي غطاها السكون — في شأن جديد كلما اعدت النظر الى الابيات .

ونعثر فيه على قطع تنحو نحو التصوير وتأخذ بأسبابه — فنياً — على الوجه الاكمل . تأمل مثلاً هذه اللوحة لخليل مردم في طفل وامه .

هش لما حفلته امه   ودنا من وجهها بالراحتين
جاز ما بينهما شوقهما   قبلة تجزيه عنها قبلتين
من رأى عيسى يناجي مريما   اورأى الزهرا يناغيها الحسين
واذا ما عبثت في وجهه   عبثاً ، او دفعته باليدين
جمع الانف وضم الشفتين   وزوى اللحظ وهز المنكبين
وبدا الغيظ ولو دافعه   والحيا في وجهه ممتزجين
لجّ بي فرط حناني ، فأنا   من بكاء وابتسام بين بين
بسمة حيرى أطافت بفمي   حين حارت دمعتي بالمقلتين

انها صورة فنية اطارها من الشعر وحده .

ونعثر فيه على قطع كأنما ندفع على ترنم ابياتها دفعاً . كأنما كان الشاعر لدى نظامها يغني بها ايضاً . فمن هذه القطع الغنائية ما نشره احمد رامي في اماني الشباب . وكل شعره من هذا النوع .

ما انضر العيش بسرح الشباب   وامتع النفس بهذا الجناب
لبست من وشي الصبى حلّة   أمرح منها في قشيب الثياب
خيوطها من نسج كف الضحى   ولونها تبر الاصيل المذاب

***

كم في الصبا من غصن ناضر   وأيكة في ظله المستطاب

وكم أمان في الصبى حلوة ... تلمع في عينيّ لمع السراب
اسعى اليها سعي لا يائس ... بعزمة تنقض مثل الشهاب
حول بجد الطود من اصله ... وهمة تركب متن السحاب
ومطلب ان عزّني شأوه ... بذلت روحي في سبيل الطلاب

قال حافظ ابراهيم مرة « ان شعر رامي ينفحك بموسيقاه قبل ان تستجلي معانيه » وصدق حافظ فما كان يشير الا الى هذه الناحية رحمه الله .

ونعثر فيه على مقطوعات تترنح لها شبه مسحورين . كهذه القطعة لميشال بشير عنوانها « مخبأ اسرار » .

يا زهوة اللون على مموّج عار
وثوبه ينشق عن نور وعن نار

***

مرصع بلؤلؤ الزهر ومرجانه
تتزلق العيون في بريق ألوانه
هزهزه الضحى على توقيع الحانه
وزرّه من زبد النور بأزرار
يكبس في احنائها لهنات ازهار

واكثر شعره من هذا الطراز . فلا اظن الا ان هذا الشاعر — كالبحتري — يوقع كل قافية على اوتار قلبه شبه مفتون .

ونعثر فيه على مقطوعات تذهل الانسان عن نفسه واحساسها المرهف الذي يستحيل في اعمق اعماقه نغماً يتجاوب صداه . وهذا النوع من الشعر هو مفخرة عصرنا الحديث . ومن روائعه هذه القطعة الناعمة لعمر ابو ريشة عنوانها « اصداء » .

صوت يناديني . . وفي مسمعي ... منه اغاني امل مزمع
من أين ؟ لا ادري ، ولكنني ... أصغي وهذا الليل يصغي معي

***

اختاه ! اني راحل فاهدئي ... وزوّديني بالرضا واهجعي
قوافل الاجيال قد لوّحت ... تومىء لي من افق أوسع
لن ارهب الآباد مهما دجت ... فليس في الآباد من مفزع
انا الذي ذوب اوتاره ... وصبها برأ على الموجع
لي من حنايا سدرة المنتهى ... متكئي ان شئت او مضجعي
لا ! يا ضلال الروح لن اكتسي ... منك جناحي حلم ممتع
كم امنيات عفت اعراسها ... جنائزاً تجهش في مخدع
وكم نشيد مسكر في فمي ... قاطعته ، فاخضل في ادمع
حسبي اذا القيت طرفي على ... امسي صدمت القلب بالاضلع

***

هيهات ! لن يسمع هذا الدجى ... بعدي حنين الوتر الطيع
ولن ينام الحب في مهده ... على صلاة الشاعر المبدع
قبرة فوق ضلوع الضحى ... غنت ، وولت ، ثم لم ترجع

انها من النوع الذي يوحي اليك بالمعاني وانت مغمض الاجفان . وابو ريشة لا يشق له غبار في هذ الميدان .

اما القصة الكاملة التي تتضمن صورها المتحركة — بصورة مصغرة — العقدة وحلها ففي مثل قول الشاعر القروي تحت عنوان « الغفران » .

قمت عند الصباح اشدو حبورا ... لا ارى علة لفرط حبوري
مؤنساً وحشة الفضاء كأني ... نبأ طيب سرى في الاثير
وعلى وجنتيّ للورد طل ... عائم فوق موجة من نور
أتهادى بين الغصون كغصن ... وأناغي العصفور كالعصفور
صحت ربي ! أزال عهد شقائي ... ام أراني في عالم مسحور ؟
واذا وردة كوجنة طفل ... جنبها شوكة كناب هصور
فتذكرت ليلة الامس حلماً ... منه ادركت سر هذا السرور
ان كف الرحمن تحت سكون ا ... لليل بالعفو غلغلت في سريري
فرمت نفحة من العطر في قلـ ... ـبي، وعادت بشوكة من ضميري

انه في الواقع شريط سينمائي . . لا ينقصه حتى العرض . ورشيد يجلي في هذا المضمار .

واما الحوار الذي يأتي — في صورة مصغرة — على العقدة وحلها كذلك . ففي مثل قول ايليا ابو ماضي تحت عنوان « لا انت ولا انا » . وهي من قطعه المبلورة .

قالت : السعادة في المنى . فرددتني ... وزعمت ان المرء آفته المنى
ورأيت في ظل الغنى تمثالها ... ورأيت انت البؤس في ظل الغنى
فأنا اقول بأنها قد تقتني ... فتقول انت بأنها لا تقتني
واقول : ان خلقت فقد خلقت لنا ... فتقول : ان خلقت فلم تخلق لنا
واقول : اني مؤمن بوجودها ... فتقول : ما احراك ان لا تؤمنا
واقول : سر سوف يعلن في غد ... فتقول : لا سرّ هناك . ولا هنا !
يا صاحبي ! هذا حوار باطل ... لا انت ادركت الصواب ولا أنا

فترى في هذه القطعة — على صغرها — كيف يبدأ هذا الحوار الذي يمثل روح العصر في الجدل . حتى ينتهي بها الى هذه الخاتمة السوفسطائية التي دانت بها الفلسفة يوماً ما . وفي ذلك سر انشاء ابسن وبرنارد شو المسرح من آيات . وابو ماضي — على هذا — من العشرة المبشرين بظلال « السدرة » التي بعث اصداءها ابو ريشة منذ قريب .

وهكذا يلم الشعر المصري ايضاً بكافة الفنون الجميلة في نماذجه — اسلوباً ايحاء وطريقة تعبير .

١٢ — الخاتمة

لقد عقدنا اوجه الشبه بين الشعر وسائر الفنون تمهيداً للبحث الذي كان — تحت العنوان العام — هو غرضنا الاساسي من وضع هذه السلسلة . . وقد بلغنا آخر حلقاتها . وهو درس

منزلة الشعر بين الفنون .

فنحن اذا قلنا انهناك وجهاً للشبه بين نوع من الشعر وبين فن النحت او التصوير مثلاً لم نعن بهذا – ولا ينبغي ان يفهم – ان مقطوعة من هذا النوع اصبحت تمثالاً منحوتاً او لوحة زيتية لا تزيد على ما لهذين من خصائص وصفات . او انهـا عدمت بذلك كل مميزاتها كشعر الا ما يتصل بوجه الشبه المذكور . فـالشعر افقه اوسع من ان يحد بهذه الحدود . وكل ما هناك ان المشابهة هي في اسلوب الايحاء . . لا تتجاوزه في شيء .

ففي الشعر – كما رأينا – مقطوعات اشعاعها بالمعاني لا يكاد ينقطع بادتها . فهي في هذا اشبه شيء بالتمثال المرمري . وفيه مقطوعات اخرى ينطبق عليها صفة ما تصور من موثبـات لصدق الوصف وجمال التصوير . فهي اشبه ما تكون باللوحة الزيتية . . ومقطوعات من نوع ثالث لا يحلو للقارىء انشادها الا رافعاً صوته مترنماً ، كالاغاني التي يضعها واضعوها ونصب اعينهم هذا الهدف ومقطوعات من نوع رابع يغلب فيها القارىء على امره فيحرك الرأس ويهز المنكبين طرباً كأن امامه راقصة تحاول ان تبعث نفسها فيه . . ومقطوعات من نوع خامس يميل القارىء الى اطباق اجفانه مغموراً باحساسها . كأنما هناك آلة عزف له .

نحن اذا قررنا كل ذلك كأمر واقع لم نضع بين هذه الانواع حدوداً فاصلة كالتي تقوم على وجه الارض بين الدول . تحول دون اختراقها حواجز جمركية او مراكز للخفر . فالمقطوعة بمجرد مشابهتها في الايحاء لفن النحت لا تصبح تمثالاً خالصاً . لان الشعر – بفضل عناصره الاولى التي تدخل في تكوينه . والتي حللناها في الفصول الاولى الى موسيقى وعاطفة وخيال ثم لون – يبقى يشارك كل نوع منه نوعاً آخر – ضمن حدوده – في كافة هذه الوجوه والصفات .

ان الشعر كعمل المخيلة الشاعرة يقتبس اريحيته من كافة الفنون ويسبغ روحه عليها . فطالما سبق هذه الفنون فكرة الى الوجود وخلدها عملاً . تأمل الصور المتحركة على الشاشة . . فهي لم تكن قبل قرن من الزمـان تدور بخلد انسان . ولكن المخيلة الشاعرة كانت قد سبقت بوضع آيتها في الشعر وترسم طريقها في الملاحم الشعرية . . قبل عشرات القرون .

فالشعر اذا تبين الآن – سواء بملاحمه او مسرحياته او بما يقص من اثرهما في ركنه الغنائي – انه يترسم اثر الصور المتحركة كفن . فيوحي الى الاذهان بصوره اللفظية قصة كاملة تسردهـا الالفاظ سرداً . وهو اقدر الفنون على ذلك لان الالفاظ كرموز تحمل في طية نفسها بالاضافة الى ما ترمز اليه من المدلولات والاسماء رمز حركاتها وافعالها ايضاً . . اذا فعل الشعر ذلـك – وهو في طبيعته لو اراد – فهل يجرده هذا من الصفات التي يشارك فيها سائر الفنون – مجتمعة او فرادى – حسب مقتضى اصول البيـان . او يمنعه من مشابهتها فعلاً في اساليب الايحاء ؟ .

وما لنا وللصور المتحركة فقد لا يحضر لمشاهدتها ابناء عمنا في البادية . إخـالك قرأت خمريات ابي نواس . ولعلك لم تنس كيف سرد الشاعر في كثير منها قصصاً بديعاً عن ذهـابه الى الحانات ليلاً ووقائعه هنـاك . فهل يجرد اثر القصص في هذه الخمريات ما تمتاز به احياناً من صفاتها « الاشعاعية » او « التصويرية » او « الغنائية » او « الراقصة » او « الموسيقية » . . . كباقي هذه الفنون ؟ .

انه في الواقع لا يملك تجريدها . ومن هنا يحتل الشعر هذه المنزلة العالية بين الفنون . فهو – بدون مغـالاة – يتبوأ صدر الايوان في متحف الفنون تحت قبته العالية لانه يشارك الفنون – بعضها او كلها – في اخص صفاتها كما رأينا . ثم يزيد عليها بانفراده دونها بخصائص وصفات اخرى هي قد لا تكون – او هي بالفعل ليست – في متناول هذه الفنون .

تأمل مثلا هذه القصيدة لايليا ابو ماضي وعنوانها « لو . . . »

لو انني يا هند ! بدر السما   هبطت من افقي الى مخدعك
وصرت عقداً لك او خاتماً   في جيدك الناصع او اصبعك
او بلبل البستان . ما لذ لي   الانشاد ان لم يك في مسمعك
ولو اكون الارج الذاكي   لما هجرت الروض . . لولاك
وما حواني غير مغنـاك
ولم أفح حتى تكوني معي

***

فيك ، وفي الوردة سر الصبا   وفي الصبا سر الهوى والجمال
فان تريني واجماً باهتـاً   حيالها أخشى عليها الزوال
فانني شاهدت طيف الردى   ينسل كالسارق بين الظلال
ولاح لي في الورق النامي   منطرحاً في الارض قدامي
رموز آمـال واحـلام
أحلام من ؟ . احلام مضناك

ففي هذه القصيدة اشعاع بالمعاني لا يكاد ينقطع بادتها . . كأنما قدت من جوهر الحياة . وفيها حكاية لحال العاشق – امام الحس – لا تقل في اثرها عن اية قطعة غزلية مجردة او قصة غرامية

عسردة . ولكنك تحس مع الصور التي تتحرك فيهـا بجو فاتن مريب في هذه الموسيقى الناعمة التي يخلقها تعدد قوافيها وتساوق الفاظها على نظامها الخاص . وهي بعد كل ذلك قطعة غنائية تود ان تترنم بأبياتها . ولكنك تستجلي اخيلتها مغمض الاجفان لان معانيها الكئيبة منتزعة من قلب الفلسفة وقالبها . بما لها من نظرة خاصة في الحياة وحكم ترابي عام عليهـا . وهي اخيراً لا تقل عملا – مع الحياة – عن العدسة التي تجمع الاشعة كلهـا في بؤرة واحدة . فتكاد تلقي بالقرص الناري بين يدي الانسان .

وصدق الرسول عليه السلام « ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحراً » .

فالشعر – اذن – لا تقتصر فتنته على مشابهته للفنون الجميلة في اخص خصائصها وابهر مميزاتها ، بل له وراء ذلك فتنته الخاصة يسمو بها على تلك الفنون ونواح ينفرد بها دونها . وقد لا نحيط بهذه النواحي التي ينفرد بهـا الشعر وحده دون سائر الفنون ولكننا نلمّ بها الماماً .

انه يستطيع – اولاً – ان يؤدي غرض كل فن بالروعة التي نحس بها ازاء ذلك الفن نفسه . اما الفنون الجميلة فليس بينها مـا يستطيع ان يؤدي غرض الشعر مستقلاً . وانما تتآزر الفنون كلها لعلها تصيب غرضه . والشاهد على ذلك الشاشة البيضاء وقاعة التمثيل .

انه يستطيع – ثانياً – ان يشارك اكثر من فن في خصائصها . كما رأينا . بينما الفنون الجميلة لا تستطيع الا ان تؤدي رسالتهـا الخاصة . . كل فن على حدة . ويكاد يستحيل على الفنون ان يقوم بينها اوجة شبه في اسلوب الايحاء . . سوى الشعر . وهذا يضطرها الى ان تستعين بعضها بعضاً كلما اقتضت الحـال لاداء غرض مشترك . فالرقص او الغناء مثلاً لا يستقيم اودهما – غالباً – الا بالموسيقى .

ان الشعر اغنى ما يكون – كفن – عن الاستعـانة بهذه الفنون . فالابيات التي يستبهم معناها الا اذا شفعتهـا بصورة في كتاب مطبوع – لا يد لمخيلتك فيها – يعود الفضل في روعتهـا الى الصورة لا الى الشاعر . والابيات التي لا تدرك مغزاها الا على لسان خطيب يتفنن في الالقاء – غيرك – يعود الفضل في تأثيرها الى الخطيب لا الى الشاعر . والابيات التي لا تطرب لها الا اذا شدا بهـا مغن رطب اللسان – ليس هو انت – يعود الفضل في اطرابها الى المغني لا الى الشاعر . والابيـات التي لا تتجلى لك آفاقها البعيدة الا اذا عزّزتهـا الموسيقى بجوها الساحر – غير دق قلبك – يعود الفضل في سحرها الى الموسيقي لا الى الشاعر .

لا ! ان الشعر اغنى مـا يكون عن كل هذا . فهو ينهض وحده ولو لم يجئك الا على قصاصة من ورق بال . هو ينهض وحده ولو لم تسمعه الا من فم طرّار رثّ الثياب ، لانه يحمل عالمه معه .

ان الشعر هو الذي يجعل من ذهنك – ايها القارىء – اطار لصوره . وينفث على لسانك سحر تأثيره . ويظهر في صوتك آية ألحانه . ويبعث في قلبك اصداء انغـامه . ويحيل الك الفقر جنة فردوس . وبعبارة اوجز يجعل في ذات نفسك المصور او الخطيب او المغني او الموسيقي ، بعضهم او كلهم مجتمعين في آن . وهذا ما أحس به عمر الخيام في احدى ساعات إلهامه فلم يتمن على الحياة غير وجه الحبيب . وكأس خمر . ورغيف خبز . . وديوان شعر وهل كان هذا الاخير الا الحياة نفسها ممثلة في كتاب .

لقد اكثر بعض الادباء الكلام هذه الايام في فضل النثر على الشعر محاولين بذلك ان يرفعوا من شأن انفسهم . وكان اساس الحكم مبنياً على خطأ . فان النثر لا يقابله الشعر وانما الذي يقابله هو النظم . فالشعر يأتيك منثوراً كمـا يأتيك منظوماً . وعلى هذا الاساس لا يؤدي النثر رسالته – كجزء من ادب – على تعدد مظاهره وتنوع انواعه من خطابة او رسالة او مقال ، الا والشعر قـادر على ان يؤديها بصورة احسن . فصرخة الرافعي في فلسطين وانّة الزيات في ابنه « رجاء » ليست سوى شعر منثور .

لقد تبلور الشعر عندنا – كفن – اول مـا تبلور على غرار الخطابة . فكان يلقى به في المحافل والاسواق – كسوق عكاظ وغيرها – ليؤدي مثلها خدمة اجتماعية . فهل مرت بك خطبة افعل في النفس من نونية عمرو بن كلثوم التي ارتجلها امام الجمهور الصاخب لمناسبة خاصة تشيد بها ايام العرب . . . ويحفل بوقائعها التاريخ . لقد بلغ من تأثيرها ان قال قائلهم في زمانه .

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة   قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

واذا ما جاوزنا العصر الجاهلي فهل مرّ بك خطاب او مقال او رسالة في عصرنا ابلغ اثراً من النونية التي نظمها بشارة الخوري في فلسطين . . هذا الجرح الدامي في جسم العروبة الحي الذي لم يندمل بعد ولا يندمل : . الا ان يشاء الله .

لقد أدت القصيدة غرضها (اي الخطابة) كاحسن ما يكون خلال كل العصور • وان نجاح الشاعر في تأدية رسالة الخطيب هو الذي فتح الباب عندنا واسعاً امام شعر المناسبات. فلج بكثير من شعرائنا العثار في هذا المضار .. اثناء السباق .

وهذا هو اساس الخلاف بيننـا وبين غيرنا في ادراك مرامي الشعر . فقد بقي كثير منا لا يرون في الشـاعر الا خطيباً ينظم الفاظه • . ويتوقعون منه كلمة في كل مقام – وانا اول من يقول ان الشعر استطاع ان يضطلع بهذه المهمة في كافة العصور . ولكن من الغبي ان نعتقد ان كل رسالته – كشعر – مقصورة على ذلك .

اما عند غيرنا فان الشعر كان – منذ القديم – يعتبر اثر المخيلة الشاعرة وينظر اليه على هذا الاساس روحانياً .. اثره في الروح لا في العقل . ولذلك كان الغربيون يستوحون من الشعر كافة ما تتحفهم به الفنون الجميلة من معنى البهجة والطرب . وما تبثه في خلدهم من الروعة او التأثير .

وعلى هذا الاعتبار الفني قدر للشعر ان يتحمل في اب لبـابه – بحكم محله في سرحة الادب البـاسقة – البذور الاولى لا لتجديد حياة الادب فحسب ، بل لحفظ كيان كافة الفنون والجاد ما لم يظهر منها بعد على مسرح الوجود • . وقد تجلى للانسان نبله قديماً في التمثيل المسرحي خلقاً وابتكاراً . وها هو حديثاً يشهد معجزته تتم على يد آلة التصوير والصور المتحركة ابداعاً وتفنناً .

لقد انتهى بنا المطاف الى هنا . ولا يعلم الا الله مبلغ قربي من الحقيقة او حظي من التوفيق في التعبير عنها . فقد كان ذلك هدفي دائماً . كما اني لا ادري – وقد استشهدت بشعر كثير – اذا كنت دائماً انسب الشيء الى صاحبه . فلعلي اخطأت في نسبة بعض الابيات ولكن لا عن تعمد. وسبحان من تنزه بالكمال .

وقصاراي ان اقول في الختـام ما قاله احد ادباء الغرب – شالز مورغن :

« ليست اعظم تحية يستطيع الكاتب ان يظفر بهـا هي ان تستغرق في قراءة صفحاته حتى تنسى كل شيء آخر . بل هي ما يقع احياناً من توقفنا عن القراءة عن غير وعي والقـاء الكتاب جانباً والاسترسال في التطلع الى آفاق بعيدة بعيون زال عنها بعض ما كان يغشاها » .

البحرين — ابراهيم العريض

من المساء الاخير

المـوت والقـدر

☆

كنت أعلم أننا نزداد قرباً كي نصل اخيراً الى لحظة فيها نفترق
وكنت أعلم أنها لحظة – كالموت – لا يمكن ان نعرف متى تكون
وكنت اعلم انها لحظة – كالقدر – لا يمكن ان نعدّ أنفسنا لها
ولحظات فرحنا الصامت كانت طريقي المحتّم الى الألم والدموع
وذكرياتنا وأحلامنا وخفقاتنا كنا نجمعها سريعاً في نهم قبل ان نفترق
وانا أرقب الزمن ... وأنسى انه سيشمل ألمي كما يشمل فرحنا
وأبثك ايماني في كل لحظة : ان حضني هو آمن مكان لك في العالم.

***

وذات يوم رأيتك تنطلقين ، وحيدة وثائرة الى حيث لا أعرف ولا تعرفين
وبدت لك زحمة العالم وضجيجه أكثر طمأنينة من حضني الوادع الدافيء.
وذكرياتنا وأحلامنا وخفقاتنا تبلورت في كرة
من الدم اخذت تغرق في هدوء .
أما أنت فانطلقت فرحة بالعالم الجديد حيث هناك يريدك الكثيرون
حتى عبرت الشاطيء الآخر ، ناسية في الضجيج
المتعالي خفقات قلب شجاع صبور
فاستقبلوك بالهتاف ، حتى أصبحت لديك ذكرى بغيضة مريرة موحشة
واندفعت ... وأنا ارقب عسى ان يكون هناك
من هو أكثر اخلاصاً لك مني .

***

ووضع البعد غشاوة بيني وبينك
واختلطت بالضجيج والزحمة والناس حتى لم أعد
اميزك في سهولة من بينهم .
ولحظة الفراق – كالموت – لا يمكن ارجاعها
ولحظة الفراق – كالقدر – نتقبلها ولا نختارها
وكرة الدم ما تزال تغرق كأنما الى غير قاع .

القاهرة — يوسف الشاروني

قصة

بقلم وديع فلسطين

بني — يا من تحدّرت من صلبي ، اكتب اليك هذه الرسالة واودعها مكاناً أميناً ، لعلك تعثر عليهـا بعد منيتي ، فتتلو فيها ألفاظ ابيك ، وتقرأ كلماته التي آثر ان يخلفها لك ، وما خلّف لك كثيراً . بل انني لارجو ان لا تصل هذه الرسالة الى يديك وان لا تقرأها وان يأتي الفناء عليها .

انا اليوم في مطلع شيخوختي ، ولست ادري هل تمتد بي عجلة العمر ، ام تخبو حياتي وانت بعد في الرضاع . فقد انجبتك بعدما جاوزت الخمسين ، وعلا المشيب رأسي . واني وان كنت احبك حباً يكاد يتسامى الى مرتبة العبادة والتقديس ، غير اني لو خيرت لآثرت انلا ارزق بك ، وما ذاك الا شفقة عليك وقلق مما ينتظرك في الحياة من مستغلقات .

كنا في ريّق العمر لا نحمل هماً ، ولا نبالي بما تأتي به الايام ، فالرزق مكفول ، والمعاش مضمون ، والخير وفير ليس من يحرم منه . اما اليوم ، فالحال غير الحال ، والناس غير الناس ، والحياة أدبرت فبان منها القصور وتجلت عورتها .

ومن حقك ان تسألني — ولو كنت تستطيع الكلام لما حسبتك تتردد في السؤال — لماذا ضيعت عمري الطويل عزباً وحيداً ثم قررت في نهاية الشوط الزواج والانسال .

ومن حقي عليك ان اجيبك عن سؤالك المضمر في تلافيف ذهنك ، فأطلعك على ما طوته صفحة حياتي من أسرار طالما حرصت على ان لا أبوح بها لاحد .

ويحق لك ان تحاسبني على انجابك ، لانك لا ترى احداً يلام او يمتدح على ذلك سواي ، ومن واجبي ان اقبل تحديك فأبسط لك جانباً من دخائلي ، ولك بعد ذلك ان تحكم لي او عليّ ، واني واثق من انك ستكون عادلاً في حكمك غير متأثر بمؤثر ما .

ابني ، وما اعذبها كلمة ، أراني مكرهاً على ان أميط لك اللثام عن اخص خصائصي ، ولست أجد من هو احق منك بذلك ، وان أكشف امامك كل ستر يكتنف ماضيّ ، فأحسب ان هذا الماضي لم يعد ملكاً لي ، وانما هو ميراث ينبغي ان اورثه لك ، فاما ان تبدده ، واما ان تبقي عليه . وفي تبديده او في الابقاء عليه يمكنك ان تصون كرامة الاصل الذي انشعبت منه او تثلمها .

***

تفتحت حياتي على آمال كبار ، لعل أجدهـا ان اعيش في كنف من احب ، وأخلص لها وتخلص لي ، فنجعل من الدار قطعة من جنان الخلد ، ونسلك درب الحياة الطويل او القصير يتكىء كل منا على ذراع زميله في الشدة او في الفرج .

وعثرت على ضالتي ، واسمح لي ان اصارحك باسمها الاول وهو « ثناء » ، فرأيت فيها ملاكاً لا يكاد ينتسب الى الارض ، خلق سام ، وثقافة عالية ، ووفاء لا يعرف حداً ، وحديث حلو يفيض من ثغرها الدائم الابتسام ، وإشراقة جميلة لا تبرح محياها ، وحنان تبديه لكل من ابتأست له الدنيـا ، وتعفف يعصم من الزلل ، ومرح لا يتجاوز مقتضيات الحال .

رأيت فيهـا كل هذا ، ورأيت اكثر منه ، فقلت : هذي شريكـة عمري ورفيقة حياتي ، وسلوى وحدتي . وعزمت على ان اخطبها من ابيها كما جرت العادة ، وذهبت اليه اطلب يد كريمته ، فكان جوابه مقتضباً : ثناء لابن عمها منذ ولد الاثنان .

قلت : أأفهم من هذا ان طلبي مرفوض ؟

أجاب : اذا شئت ، فقد تعاهدت مع شقيقي منذ عشرين عاماً على ان نجعل من اثنين من ابنائنـا زوجاً وزوجته ، ولا يسعني نكث العهد .

قلت : اسألت الفتاة ؟ فقد يكون رأيها الفيصل .

— اني والدها ، وانا المسؤول عن مصيرها لا هي .

وانتهى الحديث بيني وبين ذلك الرجل ، وانتهت معه آمال عقدتها ، فتهاوت امام ناظري ككومة قش تذروها ريح . واقسمت يميناً — ليتني ما حنثت بها — ان اعيش بعد اليوم لنفسي ، ولنفسي وحدي ، فما دمت عجزت عن الظفر بمن توسمت فيها مثالاً اعلى ، لا ينبغي لي ان انزل الى مستوى منحدر لا يلبي رغبة غرستها الطبيعة

بين اطوائي . فعشت وحيداً ، وقطعت شوط العمر كسمكة وضعت في اناء ماء ، فلا هي تستطيع اللحاق بأترابها ، ولا هي ترضى ان يشركها في زادها وفي حريتها مخلوق .

ومضت خمسة وعشرون عاماً .. مدة ما اطولها .

غدا ابن الخامسة والعشرين كهلاً في الخمسين يتوثب الى الشيخوخة مهرولاً .

واصبح الفتى النشط الملتهب حيوية ، صريع طائفة من اسقام البدن تنتاب متقدمي العمر .

واضحى الوجه الجميل بشرة تغضنت وبدت منها مسارب الدم .

وذات يوم ، خلوت الى نفسي افكر .. افكر في مصيري الذي تزاحمت حوله سحب كثيفة ..

مريض في حاجة الى من يرعاه في علته ، وحيد زاهد اضجرته حياة الوحدة ورغب في من يؤنسه ، ومن ثم قررت ان اتزوج ، ورضيت بان انزل عن كبريائي ، واتخلى عن شروطي التي كنت اطلبها في من اختارها زوجة لي ، وقلت : لاقبلن اول فتاة تعترض حياتي ، وليكن ما يكون .

وقد كان ، فتزوجت امك يا بني .. كانت اول طارق .

وعشت معها عيشة فتور ، او ان شئت فقل عيشة مصلحة . لم اك ارى فيها الا مدبرة لاموري ، معنية بشؤوني . وكنت احسب انها لم تجد في سوى راع لمقتضياتها قائم بمطالبها ... مصلحة متبادلة كما ترى .

ولكني على الرغم مني احببتها لاني وجدت فيها خير من ينهض بالتزامات شيخوختي ، فهي نعم السمير ونعم الخل .

واثمر الحب العارض المجفو ، فجئت انت يا بني تملأ بيتنا صراخاً وعويلاً ، وتطبع حياتي بطابع جديد .

اني احبك ، واكاد اجثو لك متعبداً متنسكاً ، ولكني وددت لو لم انجبك .

لو اني تزوجت منذ خمسة وعشرين عاماً ، لكنت انت الآن رجلاً يكافح في الحياة بعدما نال نصيبه من الثقافة وحصته من التربية والتقويم . اما الآن ، فلست ادري هل اراك تسير على قدميك ، ام اموت وانت كليل الساقين لم تقويا بعد على حملك .

ليس لي مال اورثه لك ، فما كنت في يوم اعتمد الا على كسب يومي ، وليس لي جاه اضفيه عليك ، فانا رجل عادي كعشرات آلاف من امثالي . وليس في طاقتي ان اضمن لك مستقبلك بعدما امسى مستقبلي في كفة القدر . ولست ادري كيف تعولك امك من بعدي ، فأني عليها مشفق ، وما لدي حيلة .

لذلك يا بني استغفرك اذا انا رجوت لك وفاة مبكرة ، وفاة ولو بين يدي وامام ناظري فذا اخف وطأة على نفسي من ان تعيش عمرك مشرداً قاصر العلم محروماً من الثقافة . ومعذرة اذا تمنيت لك حرماناً من الحياة ، فلم أجد فيها ما يرغب .

عفواً يا بني اذا كان تفكيري يضل بي هذا الضلال ، فان منطقي قد قلبته الاحداث والحوادث ، ولم يعد ذهني يتجه اتجاه اذهان الآخرين . فاني ارى راحتك ، وراحتك الكبرى في الرقدة الاخيرة ، تلك الرقدة التي رجوتها لك وانا موقن ان فيها قضاء على حياتي انا أبيك ، ورب قضاء اخف من قضاء .

واني طامع في سعة صدرك ، ان تغفر لي هذه الآراء السود اذا اوصدت دون امنيتي ابواب السماء ولم يستجب لها . فاذا قدّر لك ان تعيش وان تكافح لأجل لقمة العيش ، فرجائي منك ان لا تلوم اباك ، والا توجه الى ذكراه نقمة وسخطاً . فقد كان ابوك يريد ان يقدم موعد مجيئك الى الدنيا ربع قرن ، وكان يريد ان يرعاك شاباً وكهلاً وشيخاً ، وكان يريد ان ينفق عليك من كده وعرق جبينه ، وكان يريد ان يقاسمك لقمة عيشه وكفاف خبزه ، وكان يريد ان يعبد امامك السبل اذا رآها آلت الى ترهات وأزقة ، وكان يريد ان يحرم نفسه من لباسه ومن نزهته ومن كل شيء ليتفرغ لك وللعناية بك ... كان يريد لك كل هذا ، ولكن التقاليد لم ترد .

نعم ، لم ترد التقاليد ، فردته عن اثيرة قلبه ، وجعلته يعيش كالمصدور بغير رفيق . وابت عليه المقادير ان تحقق له امنيته الوحيدة التي طالما تاق لتحقيقها : ان يظفر بفتاته « ثناء » وتأبت عليه السعادة ، وقد كانت منه على قيد خطوة .

فاذا طال عمرك يا بني ، فلا تلم اباك ، لُم المجتمع ، لُم التقاليد ، لُم الحياة فهذي طبيعتها .

لُم كل شيء ، ولكن حذار ان يصيبني شيء من غضبك لئلا ابيت في قبري وكأن شواظ نار يهري بدني .

حذار يا فلذة كبدي ان تنالني اهانة منك ، لئلا تثور علي عظامي في لحدي ، ويلفظني حتى الموت بعدما لفظتني الحياة .

اصفح عني يا بني ، فحبي لك شفيع لي عندك .

القاهرة — وديع فلسطين

ادب الغد

بقلم رياض طه

☆

اذا جاز لنا ان نستعرض الفنون الادبية بروية وامعان، لنرد كلاً منها الى دوافع الاديب النفسية، ونحصر خصائص كل فن ضمن «اختصاص» لا تتعداه، او هي اليه أقرب مماهي الى غيره، رأينا ان الشعر اداة العاطفة والبحث اداة الفكر، والقصة اداة الحياة، وهلم جرا.

واذا كان التراث الادبي لم يخضع لهذا المقياس ولم يتقيد بناموسه، من حيث التطبيق الدقيق الشامل، (لان اسفار الادب قد حفلت بفكر في الشعر او رواية في البحث او عاطفة في القصة الخ ..) — فلا يعني ذلك ان نظريتنا على خطأ، وانما يعني ان كلاً من الفنون الادبية يتمتع بقابلية تؤهله لاستيعاب بعض خصائص غيره من الفنون الادبية الاخرى.

ويقول لنا تاريخ الادب ان اول الفنون الادبية التي عرفتها الشعوب هو الشعر، وذلك لان التعبير عن الحب والبغض والامل والالم وشتى مناحي العاطفة هو اول ما يخطر ببال الشعوب البدائية، وهو، كذلك، اول ما يخطر ببال الاديب الناشيء. كما ان الاعوال والتبسم هما اول ما يقوم به الطفل لكي «يعبر» عن حاجة في نفسه ...

فلقد ولد الادب شعراً. ثم اخذ يتطور شيئاً فشيئاً، بتطور رقي الشعوب، الى ان ازدهر النثر وتعددت ألوانه حتى كاد الشعر يكون فناً ثانوياً.

وشاهدنا على ذلك — في جملة الشهود الكثر — تاريخ الادب العربي الذي يروي أن العرب قد عرفوا الشعر قبل ان يعرفوا النثر، بزمن طويل، وانهم لم يعنوا بالنثر الا في مطلع العصر الاسلامي (اي: عندما ذر قرن حضارتهم)، ولم يبلغ أدبهم النثري ذروته الا في العصر العباسي (اي: في العصر الذهبي للحضارة العربية).

فاذا نظرنا الى ادب هذا العصر، تبين لنا انه يقوم، في معظمه، على المقال والدراسة والقصة والتمثيلية. واما الشعر فان نصيبه اصبح ضئيلاً. وعندي ان السبب في ذلك يعود الى أن مناحي العاطفة محصورة النطاق يشعر بها كل مرهف الحس. وليس من ينكر ان كل انسان يحب ويبغض ويأمل ويألم، وان الطرق والاساليب المتبعة للتعبير عن كل ذلك تتشابه عند كثيرين في عصر واحد، فكيف بها، اذن، وقد مضت عليها الاجيال وهي تعاد وتكرر.

وقد ادرك هذه الحقيقة شاعر عربي منذ حوالي الف وخمسمائة سنة فقال:

ما أرانا نقول الا معارا | او معادا من لفظنا مكرورا

هكذا قيل منذ الف وخمسمائة عام فماذا عسانا ان نقول اليوم؟ ..

ورب معترض يقول بلهجة المنتصر: ولماذا لا يقال عن البحث والقصة ما يقال عن الشعر من حيث ضيق النطاق: أفليست مناحي الفكر والرواية محصورة النطاق ايضاً؟ . أفلا تتشابه الطرق المتبعة للتعبير عنها، كذلك، عند كثيرين في عصر واحد؟.

اما جوابنا على هذا القول فليس من قبيل الدفاع عن نظرية جديدة او فكرة مبتكرة او رأي شاذ، لا، فان جوابنا يتناسب وابسط القواعد العقلية المسلم بها: ان العاطفة شعور قد لا يختلف عند كل انسان الا اختلافاً جزئياً مرده الى اثر العوامل والملابسات الخارجية والداخلية او الى شذوذ لا يقاس عليه. لذلك كان

التعبير عن هذا الشعور، عند مختلف الشعراء، وفي مختلف الامم، متشابهاً متجانساً: (فان معظم الشعراء والعشاق، في شتى آداب العالم، قد وصفوا – مثلاً – : لوعة الفراق، ولذة اللقاء، وحرقة الشوق، ومرارة الارق، ومضاضة الغيرة، وشقاء الانتظار الخ).

اما الفكر فان اتجاهاته بعيدة المدى، متشعبة الاغراض، واسعة النطاق. فهو، وان لم يختلف، احياناً، عند اكثر من واحد، الا انه خصب، متنوع، يتجدد بتجدد الزمان، ويتبدل بتبدل الاشخاص. فان الفكر يتطور تطوراً يمس الجوهر، اما العاطفة فانها تتطور تطوراً لا يتعدى العرض: فلقد تطور الفكر، في حقل الفلسفة، فأوجد، في كل فترة، نظرية تهدم ما قبلها لتبني على انقاضها نظرية اخرى، وتطور الفكر في حقل العلم، فأوجد، في كل عصر، اختراعاً يتقدم ما قبله بأشواط بعيدة. اما العاطفة فان تطورها، في حقل الشعر – مثلاً –، لم يحدث انقلاباً يغير مجراه او يحيد به عن سننه، وانما كان دائماً يحدث تغييرات تتناول، على الاعم الاغلب، المظهر وحده. وكذلك قل عن الرواية: فاذا تشابهت طرق القصة، احياناً، فان مناحي الرواية لا تبقى محصورة النطاق، لان تجدد الحضارات وتجدد الحوادث والاحداث يتيح للقصة معيناً مجدداً لا ينضب.

وبعد هذه اللفتة العارضة، نعود من جديد، لنلقي نظرتنا على أدب اليوم: اننا نلاحظ، ولا ريب، ان الشعر قد اصبح، عندنا، «بضاعة مزجاة» يمر بها عشاق الادب فلا يلتفت اليها منهم الا القليل، ولا يعد يده لشرائها الا الاقل: (ومن ادلتنا الحسية على ذلك: ان المجلات الادبية المحترمة لا تنشر، بين عشرات المقالات، الا بعض القصائد، وان الناشرين يطبعون الوف النسخ من كتب القصة ويعرضون عن طبع مئات النسخ من دواوين الشعر). هذا عندنا، اما في آداب الغرب فان الشعر يكاد اليوم يكون نادراً: (فانك قد لا تجد، بين الوف الكتب التي تصدر في فرنسا وروسيا والمانيا، كل شهر، سوى كتب شعرية لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة).

وما دامت حال الشعر هي، اليوم، على هذه الصورة، فكيف ستكون غداً؟..

ان ثمة اعتقاداً راسخاً لدى بعض المفكرين، بأن الاجيال المقبلة ستشهد انقلاباً على المادية يعيد للروحانية سالف مجدها. واذا لم يتحقق هذا الحلم ولم تهزم المادية الجامحة، فاننا على مثل اليقين من أن الشعر صائر الى الموت حتماً: لان ضعف «شخصية» هذا الفن الادبي لا يمكنه من الثبات على الحدثان، ومجابهة تيار آلية العصر المادية التي تهدد القيم الروحية تهديداً خطراً مباشراً.

وقد لا تطوى أجيال الا ونرى – او يرى غيرنا على الاصح – أن الشعر اصبح اثراً بعد عين.. او في عداد التحف الاثرية!

وهكذا ستكون الفنون الادبية الاخرى، في قبضة المادية التي ستمعن في غربلتها فيؤول الامر الى صراع بين الفنون الادبية يحفزه تنازع البقاء: فان البحث – وهو اداة الفكر كما أسلفنا – سيبقى ما بقي الفكر. ولكنه لن يكون محظوظاً برواج «بضاعته» والاقبال عليها، لان عقلية الجمهور، في هذا الجيل والاجيال الصاعدة، هي عقلية لا ترغب من الادب الا بكل ما هو سطحي خفيف يجلب اللهو والتسلية.

الاستاذ رياض طه

لذلك سيكون للقصة القدح المعلى في ادب الغد: لانها تستطيع ان تثبت وجودها، في السوق، ما دام الجمهور يستسيغها كفن كفيل بالتسلية والترفيه وقتل الوقت وطرد الهم – وللسوق التجارية المقام الاول في بقاء الادب في هذا العصر والعصور المقبلة المبنية على اساس مادي – هذا بالاضافة الى انها تستطيع ان تقوم مقام جميع الفنون الادبية لما لها من قابلية لاستيعاب مختلف اساليب الادب كالتصوير والتحليل والنقد والدرس وما الى ذلك. ومن يطلع اليوم على الادب الغربي يلاحظ الدور العظيم الذي يحتله أدب القصة: (فان الانتاج الغربي يقدم فيضاً من القصص يعالج مختلف الدراسات النفسية والاجتماعية والفلسفية والطبية والوطنية والقومية وغيرها).

ولا يغربن عن بالنا أن ادب القصة هو الادب الشامل الوحيد الذي يمكنه ان يجمع ما بين الفكر والعاطفة، على صعيد واحد، وفي غير ابتذال.

رياض طه

الحريـة والنـظـام

بقلم عبد الحليم كاشف الغطاء

موضوع الحرية معقد ومتشعب النواحي يشمل حرية الفكر والكلام والنشر وسائر الحريات المدنية ، وحرية الارادة والعمل ، وحرية الشعوب ، والتمرد من الطبيعة . وله صلة ببحث الجبر والاختيار في الدين والفلسفة ، وعلاقة الفرد بالمجتمع ، واثر الوراثة والمحيط في الفرد ، والخير والشر ، والعدل والظلم ، وغيرها .

لكي نوضح معنى الحرية نفسرها اول الامر بمعناها الواسع ، اي رغبة الفرد في تنفيذ مآربه وما يدور في خلده . ومآرب المرء في الحياة يمكن ان نجمعها كلها في عبارة واحدة هي رغبته في السرور . والمسرات على نوعين : نوع يتعلق بالجسم كصحة الجسم وخلوه من المرض فالشخص الصحيح الجسم يشعر بسرور وراحة ، واشباع الحاجات العضوية والملذات الجسدية كالطعام والشراب والمناظر الجميلة والموسيقى والمسكن والنوم والعمل وغيرها . ونوع يتعلق بالنفس كالتفكير والعاطفة والحب والغرام والصداقة وحب الاطلاع والتفوق والشهرة وغيرها ، وهذه ذات صلة قوية بالحياة الاجتماعية وتسمو بتقدم الحياة الاجتماعية . وحصول الفرد على هذه المسرات ليس بالامر اليسير تتحكم فيه وراثته اي شكله وجسمه ومواهبه العقلية الفطرية ، ومعلوماته وعاداته المكتسبة ، وتتحكم فيه نواميس الطبيعة ومناخ القطر الذي يعيش فيه ، وظروف المجتمع الذي يرتبط به .

لاجل ان نفهم معنى الحرية فهماً واضحاً يجب ان لا نفصل حرية الانسان عن المعرفة وتقدم العلوم والمخترعات من جهة ، ولا نفصل الحرية من الجهة الثانية عن سعادته . والانسان يبتغي من الحرية السعادة والسرور ، فالحرية جزء من السعادة . ويمكن ان نوجز معنى السعادة والحرية لارتباطهما مع بعضهما بان سعادة الفرد تحصل بتجرده اولاً من الطبيعة ، ويحصل ذلك بمعرفة اسرارها بواسطة تقدم العلوم الرياضية والطبيعية . عندما انتقل الانسان من حياة الصيد والرعي الى حياة الزراعة تحرر من الجوع . وعندما اكتشف طاقة البخار والكهرباء استخدم الطاقة في الطبيعة لقضاء اعماله بينما كان المصدر الاساسي للحصول على شغل هو طاقة الانسان والحيوان . ثانياً : بتجرده من اخيه الانسان وذلك بواسطة حرية الشعوب وتشريع القوانين والانظمة الصالحة للحياة الاجتماعية التي تنظم العلاقة بين الفرد والمجتمع ، وبواسطة تقدم العلوم الاجتماعية كالتاريخ والجغرافية والاقتصاد والاحصاء والاجتماع وعلم النفس والقانون والفلسفة وغيرها . ثالثاً : بتجرد الفرد من نفسه . فقد عرف منذ القديم ان سعادة الفرد تتوقف الى حد كبير على القناعة والطمأنينة والرضا .

وتحرر الانسان من الطبيعة واخيه لا يكفي لسعادته ، بان كان الفرد مثلاً غنياً صحيح الجسم ولكنه كثير الوساوس ضعيف الثقة بنفسه منقسم الشخصية ، معقد النفس لسوء تربيته السالفة او نقص ثقافته او لاسباب اخرى . ويحصل تحرر الفرد من نفسه بتعليم الفرد وتثقيفه ، والعناية بتربيته الصحية والنفسية منذ ايام الطفولة والصبا . وتقدم علم النفس يساعدنا في هذا المضمار ، كما ان الفلسفة والدين والاخلاق ترشد الفرد في هذه الناحية كثيراً . ولا يخفى ان الانسان لا يمكن ان يتحرر من نفسه ويشعر بالامن والطمانينة ما لم تتوفر حاجاته الضرورية ويأمن اعتداء الآخرين عليه . فالانواع الثلاثة من التحرر مترابطة مع بعضها . وتاريخ الانسان منذ وجد على الارض قبل مدة لاتقل عن مائة الف سنة كفاح في سبيل الحرية . ولا تزال امامه مشاكل كثيرة منها ان سيطرته على الطبيعة ما زالت ناقصة ، حيث ان مصادر الطاقة محدودة وهي الفحم والبترول وطاقة المياه الساقطة ، والجراثيم المرضية تفتك به ، وعمره قصير بالوراثة ، والعلاقات بين الشعوب والافراد معقدة ولم تنظم تنظيماً حسناً . فالانسان الآن امام ازمات مادية وروحية .

الفرد في الحياة الاجتماعية يتنازل عن

جزء من حريته لينال حرية اوسع مدى . ففي الحياة الانعزالية يضطر ان يحضر جميع حاجـاته بنفسه ، ولا يستطيع ان يهيء اكثر من حاجاته الضرورية البسيطة . ولكن عندما يتوزع العمل ويقوم كل شخص بالعمل الذي يلائم مواهبه الفطرية يسعد الجميع اذا حسن التنظيم ، وينجز الانسان اعمالاً عظيمة . في المجتمع البدائي كحياة الصيد والرعي مثلاً يعيش الافراد على نمط واحد تقريباً مما يؤدي الى انطماس الفرد وركود مواهبه . ولكن المجتمع المنظم الراقي يتيح الفرصة لكل فرد من افراد الامة ان يعبر عن نفسه ويؤكد فرديته ووجوده عن طريق الاعمال المختلفة واظهار كل فرد ما لديه من مزايا ، فهناك الطبيب والمهندس والمعلم والاداري والعـالم والموسيقي والمصور والاديب والممثل وغيرهم .

مما مر ذكره يظهر ان مجـال حرية الانسان محدود وان الانسان مسير لا مخير على وجـه العموم . واذا كانت النواميس والظروف الطبيعية ووراثة الفرد ومحيطه والمؤثرات التي مرت عليه تحدد حريته ، فما هو المقياس الذي يحدد علاقته بالمجتمع والافراد الآخرين ؟ لقد اعتبر المقيـاس للحرية الشخصية عند اكثر الباحثين هو السماح للفرد بالحرية بدون ان يتجاوز على حرية الآخرين ومنفعتهم . فيمنع الفرد عن اي عمل يؤدي الى ضرر فرد معين او الى ضرر المجتمع ، غير ان هذا الرأي وان كان مقبولاً عند اكثر المفكرين فانه قاعدة عامة تختلف فيهـا المذاهب عند العمل والتطبيق والتفصيل ، واذا كان في الحالات التي يقصد شخص فيها إلحاق ضرر مادي بالفرد او المجتمع كالقتل والسرقة والاختلاس والتخريب يسهل تعيينها وتحديد عقابها ، ولكن كيف نعالج اعتداء شعب على آخر ، وينشأ جدل بين وجهات النظر في نظام الحكم والنظام الاقتصادي وحرية الفكر .

في قضية حرية الفكر والنشر توجد وجهات نظر ثلاث : الاولى ترى وجوب اطلاق حرية الفكر بدون قيد ، نظراً الى انها اساس تقدم المجتمع والواسطة الوحيدة للوصول الى الحقيقة ونشرها بين الناس ، وانها لا تؤدي الى ضرر مقصود ، وما فيها من ضرر يعد يسيراً بالنسبة للمنافع الحاصلة . ووجهة النظر الثانية تعتبر ان الآراء الضارة او المخالفة للحقيقة يجب منع نشرها . وهنا يتمسك اصحاب المذهب الاول بان من الصعوبة البت في صحة رأي او فسـاده خصوصاً قبل منـاقشة الرأي . ولاجل مناقشة الرأي يجب ان ننشره للملأ لا ان يعرض على جماعة قليلة تبت فيه . ولا يجب ان ننشره برهة وجـيزة من الزمن لان الحقيقة دائمـاً عرضة للتعديل عدا النقض او الاثبات ، وترى وجهة النظر الثالثة انه يجب ان لا نسمح بالانتشار لمـا يناهض حرية الفكر ، ولا يفسح مجـال العمل للجماعات التي من مبادئها منـاوأة حرية الفكر والحريات المدنية . وقد اصبح من المعلوم لدى كل دولة راقية ان حرية الفكر والنشر امر ضروري وينبغي الاكتفـاء بالمراقبة اليسيرة والتحديدات القليلة التي تنص عليهـا بعض القوانين والانظمة وتقتضيها الظروف المحلية .

النظام بمعناه العـام هو ضد الفوضى والتشويش ، والنظام في الطبيعة يظهر عن طريق التشابه والتناسق والترتيب والتدرج والتقارب والتناظر والتعاقب وغيرها من الكيفيات . والامثلة كثيرة على النظام في الطبيعة مثل تعاقب الليل والنهار والفصول الاربعة ، والتناسق والتنـاظر في اجزاء الاحياء الراقية من نبات وحيوان ، وفي اطراد القوانين الطبيعية مثل السرعة الثابتة للصوت والضوء ، وغير ذلك . وللنظام في الحياة الاجتماعية معاني مشابهة لذلك .

ذكرنا ان المشكلة الاساسية في الحياة الاجتماعية هي تنظيم العلاقة بين الفرد والمجتمع بحيث يتم التوفيق بين مصلحة الطرفين وهذا امر غير يسير . وذكرنا ان المقيـاس لتحديد علاقة الفرد بالمجتمع هو عدم اعتداء الفرد على حرية الآخرين ، وتلك قاعدة عامة تحددها الانظمة والقوانين والآداب والتقاليد والعادات والاخلاق . ويمكن ان نعبر عن هذه كلها بالنظام الذي ينبغي ان يتبعه الفرد ويخضع له في حياته اليومية . فالنظام على وجه الاجمال سواء كان صالحاً او ناقصاً فانه يمثل ارادة المجتمع . ونعبر عما لدى الفرد من غرائز ودوافع وحـاجات عضوية ونفسية بحرية الفرد ، والمشكلة ان كثيراً من الانظمة والعادات والتقاليد التي اوجدتها هيئات المجتمع كالعائلة والقبيلة والمدنية والدولة تتعدى على حرية الفرد باسم النظام والصالح العـام وفي بعض الاحيان يتحرى الفرد النظام ويتحلل من الشعور بالمسؤولية ازاء المجتمع باسم الحرية بسبب جهله ونقص وعيه وعـدم تقديره لاهمية الانظمة خصوصاً الصحيح منها .

والمجتمع الراقي هو المجتمع الذي ينعدم فيه هذا التصادم بين الفرد والمجتمع . وهذا النوع من المجتمع لم يوجد حتى الآن في اي بقعة من بقاع الارض ولكن الانسانية سائرة في هذا الاتجـاه بسبب تقدم العلوم الطبيعية والاجتماعية من جهة وكفـاح الانسانية من جهة اخرى .

بغداد — عبد الحليم كاشف الغطاء

ربيعي !

☆

لأنور عبد الفتاح

☆

المنصورة – مصر

حياتي يا أزهار أوهام سادر ... وعمري يا أطيار أحلام عابر

تدور بي الدنيا ودنياي صبوة ... تدفق في روحي وقلبي وخاطري

فإن أنت يا دنيا بسطت لي الهوى ... تفجر احساسي وذابت مشاعري

وكان ربيع العمر في القلب غامراً ... وكان ربيع الشعر في قلب شاعر

زواهر أحلامي وطهر صبابتي ... ربيع ندي الشوق جم السرائر

وهبت لها عمري لأحيا بنورها ... فأهدت لي الايام أحلام شاعر

ألا يا ربيع الشعر هذي مشاعري ... وهذي ترانيمي وهذي أزاهري

فخذها فإني قد سئمت صبابتي ... أريد لأنساها وأنسى ذواكري

فلم ترعني بل رأى القلب طيفها ... على البعد أطيافاً وضلت نواظري

ربيعي أكان الحب وهماً بخاطري ... فمزقت الايام أوهام خاطري

ربيعي أكان الحب حلماً وفتنة ... صحوت فنامت فتنتي في محاجري

ربيعي ولى لا ربيع لحاضري ... وما كان لي يوماً ربيع بغابري

ويا عمر قد طال المسير ولم أزل ... اسير الى افق رهيب الدياجر

توثبت الاقدار فوق طريقنا ... ومن ذا الذي يستطيع قهر المقادر

بقلبي خريف يا ربيع فلا تطف ... بعمر وحطم يا ربيع قياثري

أبعد الذي قد كان أنسى ذواكري ... أبعد الذي قد كان تصفو مشاعري

حياتي يا أزهار أوهام سادر ... وعمري يا اطيار أحلام عابر

يا مي !

☆

لمحمد سعيد المسلم

من ديوان الصدى الحائر المعد للنشر

☆

القطيف – البحرين

يا مي: كم أفشيت سري للدجى ... وسكبت روحي في الهوى ألحانا

وبعثتني بين الجداول بلبلاً ... غرداً أبث صبابتي هيمانا

حملتني عبء الغرام فلم أطق ... حتى ارقت أعالج الأشجانا

رقت لشكواي النسائم رحمة ... فحنت تبث الزهر والاغصانا

كم حن لي النهر الضحوك تفجعاً ... ولكم بكى لي رقة وحنانا

ولكم بثثت النجم وجدي فاغتدى ... مثلي يشاطر قلبي الخفقانا

أوحيت لي الانغام وهي قصائد ... وخلقتني فبعثتني فنانا

أستنزل الالهام علوي الصدى ... واصوغ زغردة الطيور بيانا

فلكم أتيت الروض ابتعث الاسى ... فشكوت للغصن الرطيب هوانا

فتنهدت أزهاره فاذا الندى ... دمع يسيل على الربى هتانا

والطير كم نبهتها من وكرها ... حتى تبارت ترسل الالحانا

علمتها معنى الهوى وجنونه ... فغدت تشاطر مزهري التحنانا

والليل كم حملته من لوعتي ... حتى أثرت بقلبه الاحزانا

فلئن بعثت لي الاسى فلطالما ... أرهفت لي الاحساس والوجدانا

ألهمتني هذا الغناء فكم شجى ... قلباً واطرب رجعه آذانا

ادب الشبـاب

بقلم كامل العبدالله

الشباب عنصر انتقال وحركة تطور يرافق المرحلة الاخيرة من احتضار عهد ، ويطل بقلبه وروحه على دنيا جديدة تزخر بالحياة وتعمر باليقظة ، فهو بادرة حية تتنابض مع شيخوخة تقلصت فيها عناصر الحياة وجفت طاقات اليقظة وفقدت مرونة الاستمرار .

والشباب في المراحل الادبية عنوان للتجدد ، ورمز للتحرر والثورة على ما عرف من قديم هزيل ، ويقظة صحيحة على القيم المثلى ، فهو يبني – اذا اراد – على ما فات من حسنات كثيرة بارزة عرفتها العصور الادبية الماضية ويجد عظيم الايمان لتدعيم بنيانه وتركيز اسسه مستمداً الاشعاع والفيض من نتاج العصر المتجدد ومن نفسه الطموحة المنفتحة على آفاق المعرفة الظمأى لمناهل القيم .

فاعظم مميزات ادب الشباب اذاً ، هي تلك الوثبة الى مصادر النور وتلك الحماسة التي تتدفق من ثنايا تلك الكلمات والتي لا تصدر عن القلب والروح فقط ، ولكنها تنطلق من صميم الفكر الواعي الذي خدرمع الاستطلاع والتثقف – هوج العاطفة وميوعة الغريزة وماديتها – وهذا الانطلاق ذاته لا ترافقه هوادة التواكل ولا تواني الارهاق بل هو وعي وحماسة او بالاحرى انطلاق واع .

والشباب في مرحلة انطلاقهم هذه ، يقوي أثره ويشتد كلما قويت فيه طاقة الاستمرار وكلما وجه اشعاعه في سبيل مبادىء صحيحة والى اتجاهات قمينة بفرض عالم جديد أسمى ، فهو ابن هذه الحياة الفكرية والعلمية ، هذه الحياة التي يرافق مراحلها ويشاهد مختلف اوضاعها وحالاتها ، ويشبت من مؤهلاتها وحاجاتها ويحس كل ذلك بشعوره المرهف ويدركه بعقله الواعي .

ونحن إن حاولنا أن نستقري واقع شبابنا الادبي على ضوء هذا التعريف والايضاح ونستقصي مدى قوتهم عـلى الاستمرار الفكري والتوجيه الاجتماعي والانساني وجب علينـا ان نحدد واقعهم هذا ، لنعطي صورة صادقة عنهم توضح لنـا الجهد الذي يبذلونه لتهيئة دنيا الغد . .

في العالم العربي اليوم وثبة شباب ويقظة جيل جديد وموجة قوية هادرة من ذاك الادب الذي يمتاز بالتجدد والحيوية ، ولكن هذا الادب يختلف قوة وضعفاً في اطوار تحقيق الذات وفي مراحل الاشعاع ويتفاوت ايضاً في المدارس الادبية التي اقتضى مناهجها وفي الاتجاهات الكثيرة التي اختص بها .

فادب الشباب اليوم ينقسم الى فئات متعددة فئات منها من ابصرت النور فاخذت تبحث وتفتش عن طرق الهداية علها تصل الى المحجة سالمة وهي تكاد تصل ، ومنها من بهر النور عينيهـا فضلت الطريق ولم تزل تسقط ارضاً ثم تنهض ثم تسقط ثم تنهض .

لا يشكو ادباؤنا الشباب قلة الانتاج فهم ينتجون بكثرة ، فالمطابع تدفع الى السوق كل يوم بالعشرات من مصنفاتهم ، والمجلات والصحف تمتلىء بمقالاتهم وقصائدهم في مختلف المواضيع . .

واهم ما يطالعنا في ذاك الانتاج هو ان الاديب يعالج في كتاب واحد او صحف متعددة ولكن في اسبوع او شهر واحد : عدة ابحاث متنوعة فيكتب في القصة كما يكتب في النقد ويكتب في الاجتماع كما يكتب في السياسة . حتى ان الشاعر يسخر قريحته اليوم ليعالج امور الغلاء او مشكلة النقد او قضية المصالح المشتركة . . فيأتي شعره لوائح ومقترحات كثرت فيها الارقام واسماء المواد الغذائية والعروض والحلول الكثيرة والمتنوعة .

ويطغى على شبابنا اليوم عمل الترجمة عن مختلف اللغات ونقل آثارهم فتموت المواهب في النفوس وتعطل القرائح فلا انتـاج ولا جهد في سبيل خلق او ابداع .

انا لا احارب الترجمة والاقتبـاس عن فكر الغرب وادبه ولكنني اقول : علينا ان نحتفظ بشخصيتنا بعد هذه الترجمة وذاك الاقتباس وان لا نقف عندها فتتلاشى فينا رغبة الانتاج والخلق لنبني مستقبلنا الادبي وتخلق فينا روح الاستمرار الاكيد . .

اننا نشكو في شرقنا العربي هذه الطفرة من رغبتنا للاحاطة بكل شيء . وهذا الغرور الذي يحدو بنا لمعـالجة كل الشؤون : فـالطبيب يبحث في الادب والمهندس في الطب ، ونرى الاديب يتكلم عن قضايانا السياسية والاقتصادية المعقدة والرياضي يتكلم

في الشؤون التربوية ويلح ويلحف في ابداء آرائه ، والشباب في جميع الاقطار العربية اشد ابناء العصر استرسالاً في هذه الفوضى من عدم التخصص وعلى الاخص الادباء الشباب اللبنانيين .

نحن في لبنان كمجموعة عامة نلم الماماً شاملا بالمعرفة ، ولكننا في مجال التخصص لا نستوي ابداً على صعيد واحد مع بقية البلدان العالمية الراقية حتى ومع البلدان العربية الاخرى والتي ترتفع فيها نسبة الامية الى درجة عظيمة .

ففي العراق ومصر مثلا نجد نسبة الاخصائيين مرتفعة كثيراً بالنسبة الى المتعلمين والمثقفين : فالاقتصادي والسياسي والتربوي والفيلسوف او المفكر الاجتماعي .. كل منهم يكرس جهده ونشاطه وتأليفه في سبيل حقل واحد ويحصره ضمن نطاق دائرة تخصصه فيجلي في هذا المضمار ويسد ثلمة قوية في بناء الامة الثقافي ويساهم مساهمة فعالة في تثبيت دعائم بنيانها .

وكذلك ففي جميع ابواب التخصص وميادينه يرى الشباب، المتطلع بروحه وفكره الى خلق العالم المثالي وتحقيق وجود اسمى، مجالاً واسعاً لاثبات نبوغه والاستفادة من عبقريته .

ان لبنان هو اكثر البلدان العربية شخصية فيما ينجته، وادباؤه الشباب كثيراً ما يخلقون ويعطون من نفوسهم وارواحهم ادباً حياً جديداً هو صدى لخلجات الاديب، وهو هنا يرتفع بشخصيته ويمتاز بهذه الشخصية على الادب العربي الحديث في مختلف الاقطار العربية

فادباؤنا الشباب في لبنان اذاً يعتمدون على مؤهلات طيبة ويخلقون ان عرفوا كيف يتخصصون فيوجهوا هذه المواهب، ولكنهم يتيهون في غمار السطحية، ورغبة في الاحاطة بكل شيء فيضلون .

فالاختصاص وحده ينقذهم من هذه الفوضى الادبية ومن ادب المقالات الذي يوزع نبوغهم ويشعبه ويقتل فيهم رغبة الاستطلاع العلمي الصحيح، والاستقصاء الواعي لحقل واحد من حقول الفكر .

في كل عصر من العصور وفي كل مرحلة من المراحل نجد تنازعاً قوياً بين قديم يريد ان تمتد به الحياة وبين جديد يود ان يفرض ذاته ووجوده ويبني على انقاض القديم ليهيء دنيا المستقبل .

اما في عصرنا هذا فنحن نرى ان الشباب حاول تلك المحاولة وعزم ذاك العزم ولكنها لم تكن الوثبة المنشودة الكافية لتحقيق عناصر وجوده وخلوده .

الشباب اليوم كما ذكرنا عديم الشخصية كثير الانتاج السطحي المائع والتقليدي ، وهو لا يحيا حياة ادبية في اجتماعاته ومجالسه ولا يستقي الانتاج الادبي بمتابعة المحاضرات والاحاديث الادبية التي تلقى وتذاع .. وهو مع هذا لا يهتم بالآثار العميقة التي تحتاج الى اجهاد واعمال فكر بل يكتفي بأدب الصحافة ومطالعات سريعة مقتضبة من هنا وهناك .

يعرف شبابنا الادباء اليوم جميع المدارس الادبية والفكرية المختلفة ويعالجها كلها بما توصل اليه من ثقافة واطلاع ولكننا نراه يسلك هذا الطريق او ذاك وينهج نهج تلك المدرسة او هذه دون ان يلتفت الى حاجة الامة ومدى نصيب تلك الآثار من الخلود التوجيهي او الفني فهو يستقي من اقرب الموارد واسهلها تناولاً ويعالج مواضيعه بعجالات هزيلة وجهد سطحي وكثيراً ما تبهره الالفاظ والاستعارات والغموض . فيسترسل في دنيا من المعميات مظلمة ويجدّ في انتقاء الفاظ منمقة مزخرفة يضعها هنا وهناك وبدون ترتيب فلا المعنى يبهرك ولا الجمال الفني يستهويك .

ان ادب الشباب اليوم بعيد بحقيقته وواقعه عن هذه الحياة التي نألفها وتعرفنا كل يوم الى معاني والوان جديدة وتصدمنا فتهز نفوسنا وتدعنا نحس الاشياء وندركها بل تزيدنا حساسية وادراكاً لها .

ان الاديب الحق هو الذي يصور محيطه فيشعرنا بآلامه وخواطره من الكوى التي يرى منها مراحل الحياة واوضاعها ويأخذ بايدينا في منعرجات الحياة واقفاً بنا على كل مورد مطلاً بنا على كل افق ويعرض امامنا مختلف الشؤون ويعالجها بحكمة ودراية وانسانية فيسدد الخطى ويهدي الانفس .

وهذا الاهتمام بالحياة وذاك الجهد في سبيل توجيه المحيط ، يلفت اليه انظار ابناء المحيط والحياة فيهتمون به فيحتل تلك المكانة التي يجب ان يحتلها ويشيد بعد ذلك مستقبلاً يثبت ويخلد .

وهو كلما تناسى محيطه واهمل شؤون حياته تناسته الحياة والمحيط ، وهو كلما اغرق في سطحيته وكسله بقي لا يعرف من الحياة الا الميوعة والسطحية فيتسم ادبه بذلك ولا يعرف الا به

وهذه الحياة نفسها وهذا المحيط ذاته هما اللذان يقويان فيه عنصري الشخصية والتخصص في الاجواء الطليقة المتعددة التي يخلقانها ويطلان به عليها . فمن المحال اذاً ان يحقق ادباء الشباب رسالة خالدة في فوضى الاتجاه وانعزالية الفكر والروح وانكماشهما في نطاق ضيق محدود ومحال ان يقرروا مصيراً قوياً الا اذا عرفوا كيف ينصرفون الى الاستقصاء واستقراء الحقائق وتقوية الارادة على العمل واغناء الروح الاجتماعية والتخصصية فهنا فقط وعلى ضوء هذا الاتجاه الواعي تقوى عناصر الاستمرار الوجودي الذي يكوّن آفاق خلوده وانطلاقه .

كامل العبدالله



ديوان أبي فراس

جمعه ونشره وعلق حواشيه وقدمه بدراسة بالفرنسية الدكتور سامي الدهان في ثلاثة اجزاء مجموع صفحاتها ٨٢٥ - منشورات المعهد الفرنسي بدمشق

آثار الفكر العربي القديمة في حاجة الى درس جديد وطريقة في الاخراج جديدة ، فليس يكفي ان يتقدم ناشر مـا الى أثر من الآثار فيخرجه للناس في سهولة وبساطة ولا يكلف نفسه في ذلك الا ان يدفع الى المطبعة اوراقه فتخرج بنفس السهولة والبسـاطة التي لقيهما الناشر .

ولقد اخرجت المطابع في شتى اقطار العربية من تلك الكنوز التي خلفتها العصور اروع الآثار . ولكن الاسف يملأ جوانحنا كلما التفتنا ناحية الغرب حيث ينطوي فريق من علماء الاستشراق على انفسهم في صمت وهدوء يكدون ويعنون انفسهم في سبيل تحقيق كثير من آثار كنوزنا تحقيقاً يجعلنا ندين لهم بالشكر وندين لهم بالتقدير والاعجاب في حين لانحاول نحن شيئاً مما يحاولون ، ولا نكلف انفسنا ما يكلفون انفسهم من المشاق . حتى اننا لنقول جادين غير ساخرين او متجنين ان ما اخرجنا من تلك الآثار في حاجة الى اعادة النظر من جديد في نشره نشراً علمياً جديداً جديراً بالبقاء والخلود .

ولعل اللوم واقع في اكثر جوانبه على الحكومات العربية او على الهيئات العلمية فيهـا ، فهي لا تحتضن فكرة نشر تلك الآثار بما يكفل لهـا القوة والنهوض فلا تضن في هذا السبيل بشيء ، ولكنها تترك الامر بيد الناشرين الذين يجرون وراء الربح قبل ان يجروا وراء التحقيق والتدقيق العلمي الصحيح .

ذكرت ذلك كله وأنا انتهي من قراءة ذلـك الاثر الرائع الذي أخرجه للناس أديب شرقي اتخذ طريقة المستشرقين في العناية بما يخرجون ، وعنّى نفسه العناء الذي يتحملون في رضا واطمئنان ، لم يقف به دون تحقيق غايته طول الطريق ووحدة الجهد ، ولم يحل بينه وبين ما رسمه لنفسه تعدّد أماكن البحث والاستقصاء وبُعد الشقة بينها . فقدم لابنـاء العربية المثل الصالح في هذا المضمار .

فأما هذا الاثر الرائع فهو ديوان الشاعر الفارس العربي ابي فراس الحمداني ، واما الناشر الذي اخرج هذا الاثر فهو الاديب الواسع افق الثقافة والعالم المحقق البحاثة الدكتور سامي الدهان . فقد اقبل على شاعر بلده «حلب» مأخوذاً بما كان له منذ صباه من كلف بهذا الشاعر الذي ارتفع بشعره عما ألفه الناس في غيره من الشعراء ، يدرسه في الرسالة التي تقدم بها الى جامعة باريس فحصل بها على دكتوراه الدولة في الآداب ، فكان يقف امام كثير من ابيات الشاعر ويحار في ترجمتها الى الفرنسية حتى وقع على بعض شعره الذي نشره « دفورجاك » عن اليتيمة فعلم ان طبعة الديوان تحول بين الشاعر والقارىء ، وفهم أن في المخطوطات التي تطبع ما يخفف هذا الظلم الذي يفرضه النقاد على ابي فراس ، فرحل في أثر النسخ يعـارض بعضها ببعض فهو تارة في باريس وتارة في بروكسل يحضر مؤتمر المستشرقين يتعرف منهم الى نسخ لديوان هذا الشاعر ، وهو حيناً في برلين ليفد منها بعد ان يقع على بغيته الى غيرهـا من العواصم والحواضر في الشرق والغرب حتى استقصى جميع ما في خزائنها من نسخ لهذا الديوان ، فاذا به ينصرف عن الدراسة النقدية الى تهيئة الديوان لطبعة جديدة ، واذا به يرجىء الفصول التي كتبهـا في تصوير حياة الشاعر ونقد شعره ليأخذ في تصوير المخطوطات وانواعها ، ويصف اختلافها وما تضيف من معلومات ثمينة ، لان « الشعر الجديد والشروح الهامة — كما يقول — مما تنقصه الطبعات من رواية ابن خالويه يغير كثيراً من هذه الحيـاة ، ويبدل كثيراً من اغراض الشعر » .. وهو يرى أن « من الظلم ان يقرأ شعراؤنا عـلى النحو الذي نراه في هذه الطبعـات المشوهة ، ومن الظلم ان ينقد الشعر العربي القديم على التصحيف الذي يمسخه ، فهو يصرف شبابنا عن حبه ودرسه » .. واذا به يخرج الديوان محققاً على اربعين نسخة خطية من مكتبات استانبول واستراسبورغ واكسفورد وبرلين وتوبينكن وحلب والرباط وغوطه وفاس وفلورانس والقـاهرة ولندن وليبزيغ ومونيخ ، مقابلاً بين كل رواية لكل بيت في كل من هذه النسخ ، ثم بنى طبعته هذه على نسخة برلين ووضع في المتن اصح الروايات بعد ان فحصها ومحصها ووجدها اقرب الى لغة ابي فراس وروحه ونفسه ، وهذا يتطلب درساً عميقاً لاساليب الشاعر ،

وهو ليس بالعمل الهين لانه يحتاج الى ذوق شاعري رفيع لا يؤتاه كل ناشر ، وحس ملهم وبصر ناقد نافذ قل ان يتوافر لكثيرين ممن يتصدون لمثل هذه الغاية .

ولم يكتف بذلك بل رجع الى كتب الادب والتاريخ المخطوطة والمطبوعة يبحث فيها عما روي لابي فراس ليجد فيه ما يصحح بيتاً او يقيم رواية . كما رجع الى المصادر الغربية التي تبحث في الروم وقوادهم وتاريخهم لعلاقة الشاعر بهم في أسره وحربه فترجمها الى العربية وقارنها وأورد وجوه ذلك في حواشي هذه الطبعة .

وقد قسم المؤلف النسخ التي رجع اليها الى اربع طوائف ، ومن مراجعة ما انطوت عليه الطبعة الحديثة التي اخرجها من شعر الشاعر على ما ضمت نسخ الطائفة الاولى – وهي اوسع الطوائف الاربع – يتضح مدى التوفيق الذي بلغه المؤلف ، فقد ضمت طبعته ٣٦٤ قصيدة عدد ابياتها ٣٧٢٤ بيتاً في حين ان الطائفة الاولى تضم ٣٢٩ قصيدة في ٢٨٦٧ بيتاً .

هذا من ناحية النسخ الخطية التي رجع اليها ، امــا فضل هذه الطبعة على الطبعات السابقة التي ظهرت وهي ثلاث فلا وجه للمقارنة بينها وبين تلك الطبعة الممتازة في كل جانب ، فهي علاوة على ما فيها من الجهد في التحقيق تزيد عن تلك الطبعات باكثر من مائة وخمسين قصيدة غير زيادتها في ابيات القصائد الاخرى .

وذيل الديوان بنصوص من كتب الادب والتاريخ عن حياة الشاعر كما وضع شجرة نسب لأسرة الشاعر استمدها من المعلومات التي أوردها ابن خالويه واستند فيها الى كتب التاريخ واخصهــا ابن خلكان وتاريخ الموصل للصائغ . كما وضع في الجزء الاول الذي تناول فيه الكلام عن الشاعر بالفرنسية جداول توضح الفروق بين النسخ التي رجع اليها ونشر صوراً لفواتح هذه النسخ او خواتيمها .

امــا فهارس الديوان فقد استغرقت اكثر من ١٢٠ صفحة اولها – وهو من ابرع ما وفق اليه كتاب – ذلك الفهرس الذي اشار فيه المؤلف الى ما روى من شعر ابي فراس في كتب الادب والتاريخ مبيناً في ذلك موضع كل نص في الطبعات المختلفة لتلك الكتب ، وهو استقصاء جديد في بابه ، وجهد جدير بكل تقدير . ثم يليه فهرس للشعر الذي تنفرد به هــذه الطبعة ولم يرد في الطبعات السابقة للديوان ، وفهرس للبحور وآخر للمعاني والابواب ، ثم فهارس أخر للقوافي ، فالاعلام ، فالقبائل ، فالاماكن ، وختمها بفهرسين احدهما للكتب والمصادر التاريخية والادبية التي جاءت في ثنايا الديوان مع اسماء مؤلفيها وتحديد الطبعة وذكر مكانها وتاريخها

اما تفاصيل وصفها فقد ذكره في القسم الفرنسي الذي انفرد به الجزء الاول . . والفهرس الاخير خاص بالموضوعات يلخص فيه مضمون المقطوعة او القصيدة في جملة قصيرة ترمز الى هدف الشاعر منها .

وقد حلل الدكتور سامي في التوطئة التي نشرهــا في الجزء الثاني من الديوان شعر ابي فراس تحليلاً دل على علو كعبه في النقد التحليلي ، ينتهي منه الى « ان في شعره ما في شعر الاقدمين الفحول ، وفيه ما ليس في دواوينهم جميعــا ، فهو يغني عنهم وهم لا يغنون عنه ، سواء في ذلك هذه التعابير الصادقة . والتراكيب الواضحة ، واللفظ العذب ، والبيان الطلي ، فليس فيه تكلف لفظي ، ولا إغراب في المعنى ، ولا ابعاد في المحسنات البديعية ، فهو وحي العاطفة والشعور والصراحة ، وهو تاريخ العصر الحمداني ، وسجل لقبيلة تغلب ، ويوميات لافراد الاسرة الحمدانية ، في حربهم وسلمهم ، في افراحهم واحزانهم ، لم يكتب للناس ، وانما انطلقت به نفس ابي فراس لأبي فراس » .

واذا كان لاحد ان يعترض على الدكتور الدهان في هذا الحكم فلا شك في انه مقتنع – مع اعتراضه هذا – بأن أبا فراس كان من ابرز شعراء العصر الحمداني الذي ظهر فيه المتنبي والسري والرفاء والخالديان وكشاجم وغيرهم ممن يعتبدون من ابرز شعراء العرب ، وانه لا دخل للامارة ابي فراس وصلته بالبيت الحمداني في هذا البروز ، ولكن لشاعريته أثرها في ذلك . ولو لم تكن الحروب شاغلاً له لتفرغ لهذه الموهبة التي كان يريد العمل على اخفائها .

لقد كتب ابو فراس الى ابن عمه سيف الدولة من بلاد الروم يقول :

شريتك من دهري بذي الناس كلهم فلا أنا مبخوس ولا الدهر باخس

واني لاردد هذا البيت بعد ان انتهيت من ذلك الاثر الذي اخرجه له صديقي البحاثة الكبير الدكتور سامي الدهان ، فأحس بان ابن « حلب الشهباء » قد ادى الى موطنه اقدس واجب وقدم للادب العربي اجمل يد حين انصف شاعر الشهباء أيما انصاف « فلا هو مبخوس ولا الدهر باخس » .

وانه لاثر خالد لانه عمــل في الذروة من دقة الاخراج ومثل رائع جديد بمن يتصدى للنشر ان يقتدي به لا ان يزهو على الناس اذا وفق الى نسخة او نسختين من كتاب حين ينشره على الناس . واننا لمنتظرون من الدكتور الدهان ان يعنى باحياء آثار العصر الحمداني قريباً في مثل هذا العمل الفذ .

القاهرة حسن كامل الصيرفي

١ ـــ البسمات الملونة

للاستاذ حسن عبدالله القرشي – ١٨٤ صفحة – شركة استاندارد – مصر

ما تزال للشعر، كما يبدو، دولته المكينة، وقيمته الفضلى، واجواؤه الرحبة الماتعة، وعلى الاخص في دنيانا العربية المشرقة. على الرغم مما يقال من طغيان النثر على الشعر، او طغيان المادة على الروح، او سيطرة «آلية» العصر وسرعته على كل ما يتعلق برفاهية الحياة، وخاصة تهويم النفوس الحساسة في جو من الصفاء الفني، والغلو العاطفي الذي يقتضيه القريض.

ها أنذا الآن أمام ديوانين من الشعر الحديث، صدرا في قطرين عربيين عزيزين هما الحجاز وسوريا ونظمهما شابان متحفزان صورا في شعرهما ما في الشباب من عزم وحيوية، وما في نفسيته من انطلاق وتطلع نحو المستقبل الزاهر، وما تحتك به احاسيسه من دفقات الهوى العارم ونزوات العاطفة الحرى.

اما الديوان الحجازي فهو للاستاذ حسن عبدالله القرشي الذي تدل قصائده على روح شعرية وثابة تبشر بنهضة ادبية، مباركة بين ابناء الجيل الطالع في ربوع القداسة واوحي مكة المكرمة.

يمتاز شعر شاعرنا بهذا النوع العذب من الانغام الرقيقة الطروبة ذات الجرس الوديع الذي ينقلك الى جو من الذكريات الحالمة والاماني الوارفة.

« ويستفز النفوس تغريده الحلو ويسري فيهن حناناً وأمنا
« ويوّج الضمير فيهن نوراً مستمراً من الرغادة أمنا »

كما يقول صاحب الديوان.

ولعل الميزة الفريدة التي تتجلى في هذا الشعر الحي، هو هذا الفن في وصف الطبيعة والهوى اللاعج، وهذه الدقة في تحليل المشاعر العاطفية، والاختلاجات النفسية التي كثيراً ما تبرز بوضوح في قسم «الوجدانيات» من هذا الديوان:

«كنتُ في الروض شذى يعبق قطرا
كنت في الكرمة كالفرحة زهرا
أملٌ شاء خيالي فاشمخرا
أين ما كنت وهل يعدو حيالي؟
ذلك الريم كمسحور الخيال
كم افدي فيه سمراً وبريقاً»

واسمعه ايضاً يغدق اوصاف الطبيعة على معشوقته اذ يقول:

« نفح الروض جسمه بعبيره — وارتمى الورد راقصاً في سطوره
رنت الشمس في حنينٍ اليه — وتفانت في عطفه وسفوره
وارتوى البدر وازدهاه بريقٌ — منه قد بزه بسحر نضيره» الخ.

واليك هذه الصورة الفنية الماتعة التي تمثل ادوار الشهوة الحرى اصدق تمثيل في هذين البيتين:

« ترقرقه شفةٌ صبةٌ — يرافقها ثغري العاشق
وبادلني نهدك المستثير — جنى الصدر واستبشر الخافق

وكثيراً ما تلمح أمثال هذه الصورة العاطفية خلال قصائد «البسمات الملونة» التي تعبر عن نفس واصبة امضها الحرمان والجوى، وغلب عليها التأثر والاندفاع، فاذا هي تصوغ ما تلقاه شعراً ممتعاً قريباً من القلوب..

وفي جميع هذه القطع التي نظمها الشاعر وضمنها وصفه للحبيب وتصويره الكثير من حالات العواطف الغرامية، تنعدم الفكرة تقريباً، او غالباً ينتهي القاريء كما ابتدأ، دون ان يحصل على غير سحر الجو ومتعة النغم اللذين اوجدهما الشاعر.

ولكن ما بالي أكلف النفس شططاً بالبحث عن الفكرة في هذه القطع، وهي ما نظمت الا لتوحي للقارىء بالجو الساحر والنغم الماتع فحسب..

واذا كان هذا اللون الوجداني الغنائي، قد طغى على القسم الاوفر من الديوان، فان بعض قصائد القسم الاخير منه «سوانح وخطرات» استطاعت ان تفلت عن القاعدة، وتتطرق الى التحدث عن بعض المناسبات السياسية والقومية والاجتماعية. كـ «ميثاق الامم المتحدة» و«تحية ابي العلاء المعري» و «الوحدة الكبرى» و «فلسفة الطفل» و« الجامعة العربية» و«الشباب والعلم» الخ...

ولكن يلاحظ ان شعر الشاعر في هذا القسم، هو اقل قيمة واضعف روياً من شعر القسم الاول، بما يبدو عليه غالباً من اثر الصنعة والتكلف، وفقدان الجرس الشعري وضعف المعاني والتركيب، كقوله في قصيدة «ميثاق الامم المتحدة»:

« انشدوا الحسنى بهدي ورضاً — ليس بالصارم يجتر انتقاما
ناغموا المجد مريئاً سائغاً — ودعوه حينا يجني حراما »

او قوله في قصيدة «الوحدة الكبرى»:

« بنو العرب لا تأخذكمو اليوم ذلةٌ — وانتم بنو الصيد الكرام المغاور
فما انتهب الاجلال الا متيمٌ — بوجد المعالي خالدات المآثر »

وغير ذلك على هذا المنوال في هذا الباب مما يغض كثيراً من شاعرية شاعرنا الذي كان دافق الحس مشبوب العاطفة رقيق المشاعر في ابياته الوجدانية، فاذا هو هنا في «شعر المناسبات» جاف القريحة، متعمد النظم، ضعيف الاسلوب ضعيف المعاني، ولعل للمناسبات اثرها الثقيل على حسه العاطفي الذي هو هبة الخاطرة الملهمة والسانحة العفوية المختارة.

وبالاجمال فديوان «القرشي» أثر شعري جميل بديباجته وصوره العاطفية الفنية ووصفه الممتع للطبيعة .

٢ _ زنبقة ونجم

للاستاذ نجم الدين الصالح – ١٥١ صفحة – مطبعة الكشاف – اللاذقية

... ولننتقل الى الديوان السوري الذي وضعه الاستاذ نجم الدين صالح من شباب الجبل العلوي ، وشعره من الطراز العاطفي الذي أوردنا امثلة منه في الديوان الاول ، وان كان يختلف عنه من حيث الاسلوب ومن حيث طريقة السبك والنفس الشعري ، ومن حيث فكرة الموضوعات المنتقاة . فالاسلوب في « زنبقة ونجم » هو اميل الى السلاسة والبساطة منه الى التقعر والجزالة في «البسمات الملونة » والسبك عند شاعرنا يغلب عليه طابع الاوزان القصيرة والبحور الخفيفة . وكذلك فكرة الموضوعات فهي هنا تشهد للشاعر بطول باعه واختباراته في دنيا الحب والهوى اللاعج، والتنوع في وصف مشاهد الطبيعة، وتصوير اللحظات المختلسة مع الحبيب .

ولعل شعر « زنبقة ونجم » هو قريب من الشعر « المتحلل » المثير بعكس طابع العفة الذي يغلب تقريباً على شعر القرشي .

كل ذلك يعود على ما أظن الى اختلاف الجو والطبيعة والبيئة الاجتماعية بين البلدين الحجاز وسوريا .

ولنتذوق هذه الصورة الشعرية البديعة التي نقلها الشاعر وفيها يتجلى لنا الفرق ظاهراً بوضوح بين الشاعرين :

« ... وبصدرها نهد ترا قص فوق امواج الفتون
تكسر الارواح حو ل عقيقه الفض الثمين
كتكسر الامـواج في رفق على ذيل السفين . »

أو هذه الصورة الثانية :

« وضممتها فحنت على قلبي يجاذبها هواها
مذعورة الاهداب تلثم للوداع المر فاها
وتذوب في صدري وقد ماتت على عنقي يداها »

واني لأهنيء الشاعر على الشطر الاخير لما فيه من دقة الملاحظة والتصوير .

ولكن لم يستطع شاعرنا ان يحافظ على مستوى شعره من حيث جمال الوصف، وقوة التصوير فكان ان سقط شعره في بعض المقاطع الى حد الاسفاف كقوله في قطعة « تلفت وحنين » :

« اذكريني كلما لألأ في الافق صباح
ثائراً حولك يا روحي قلباً وجناح
ومشيراً في روابيك حنيني يا « نجاح » »

أو كقوله في قطعة « اتركيهم » :

اتركيهم يملأوا الاكوان اقوالاً وقيلا
ويحوكوا من حبال الحقد والغيرة غيلا
فاذا بي ألمح الافواه بوقاً وطبولا
واذا بي ألمح الانف من الآلام غولا(!) الخ . »

وقد نحا الشاعر «الصالح» في ديوانه هذا منحى الشعر القصصي فصور لنا مشاهد طريفة من الحوار والاخذ والعطاء بين الحبيب وحبيبه كما في قطعة «على غفلة من عيون الرقيب» و«ساعة في جنان المنى» و«الى خائنة» و«في احدى ليالي الشهباء» و« زهرة الفندق» الا أن قطعة « الامل الذبيح » القصصية تستحق التنويه وفيها يقول :

«. . . وغادرت مقل الازهار ساحبةً حاماً على ذيلها يرتج عريانا
وامطرتني سلاماً وهي توعز لي عتابها الحلو انداء ومرجانا
حتى اذا ما أحست وجده نفرت فبات يطوي على النيران نيرانا»

وكذلك تطرق « زنبقة ونجم » الى شعر المناسبات الوطنية والقومية ، فكان في هذا القسم « وثبات » أقوى منه في شعره العاطفي الغزلي . وهو زفرات وطنية تصور الثورة على ظلم المستعمر باجلى مظاهرها «الغضبة النكراء» و«تقديس الشهداء» «يا حماة الديار» واندفاع الشباب « نحن الشباب لنا الحياة » التي يقول في مطلعها :

« ماذا ؟ أ«ديغول» يعود بموكب كالليل يحرسه الغراب الاسود
أم من يسدد اسهماً مسمومة لنحور فتيان ترف وتنشد »

وجميع هذه القصائد الزاخرة بالروح الوطنية الوثابة تدل على تحسس قومي نبيل عند الشاعر وفق في التعبير عنه وفي وصفه وسبكه توفيقاً حسناً .

هذا ويعتبر « زنبقة ونجم » من الآثار الشعرية الممتعة العابقة بالحان العاطفة المشبوبة والحياة الحالمة ، والزاخرة بالمشاعر الوطنية النبيلة الجديرة بالتقدير .

أديب مروة

في مجرى الايام The Stream Of Days

للدكتور طه حسين – ترجمة هلري ويمنت – ١٣٦ صفحة – منشورات
Longmans, Green & Co - London

امامي كتاب عربي الاصل ، انكليزي الترجمة .

اما الكتاب فهو تأليف الاديب الكبير ، باعث النهضة الادبية الحديثة في مصر الدكتور طه حسين واما الترجمة فبقلم Hilary Wayment.

ونحن امام هذا الكتاب لا بد لنا من ان نتساءل لماذا تحمل الاديب الانكليزي هذه المشاق ، وانصب على ترجمة كتاب من

لغة امرىء القيس الى لغة شكسبير ، ولهم بأدبائهم غنية ، وبأدباء اللاتين ما يكفيهم تجشم المشاق في ترجمة كتاب لا يمت الى لغتهم بصلة ألبتة ، ان في الامر لسراً ، وما هو هذا السر ترى ؟

أهو ما ذهب اليه المؤلف في تصوير البيئة التي عاش فيها؟ وفي حلقات التدريس التي كان يحضرها في جامعة الازهر التي مـا فتئت مورد العلم منذ اسسها الخليفة الفاطمي الى يوم الناس هذا ؟ قد يكون ذلك ، لان الكتاب يقدم مشهداً من مشاهد الحيـاة المصرية ، بصيغة عربية يشوقك ان تقرأها ، بلغة سهلة بسيطة لا يشوبها غير ترديد بعض الكلمات واحياناً الفكرة الواحدة . ومن شاء الوقوف على ذلك فليرجع الى كتاب الايام نفسه بلغة امرىء القيس نفسه فيظهر له جلاء القول بوضوح ، ولا يحملنا على تقديم نماذج من ذلـك الترديد الذي لا نرى له مبرراً الا موسيقى اللفظ الذي رغب فيه المؤلف فاستسرف فيه وليس بكتابة الايام فقط بل في كل ما كتب ونشر .

واما مترجم كتاب الايام الجزء الثاني فقد اطّرح تلك الترديدات او التكرار واخذ زبدة القول واجراها بلغته فجاءت كتاباً يمثل حياة جيل من الناس او حياة كاتبه وهو يُعتمد في الحيـاة العقلية والعمرانية، ويمثل مدنية الجيل الذي مرّ فيه مؤلفه الاديب الكبير الدكتور طه حسين .

وقد يجد ابن انكلترا متعة في ذلك الكتاب وصورة واضحة لحياة لم يألفها في بلاده ، ولم تقع عينه على مشهد من مثل هذا ، فيحبه لما فيه من نكت اوردها الكاتب تجميلاً للبحث مقلداً بذلك طريقة اديب العربية الاكبر الجاحظ . كبائع الفول الحاج فيروز مثلاً الخ .

على ان قولنا هذا لا يمنعنا من الجهر ، بان كل مـا نشر طه حسين لا يخلو من متعة روحية ، فان انت شرعت في قراءة كتاب من كتبه لا تقدر ان تتركه حتى تأتي عـلى آخره وتتذوق تلك الفكرة التي يريد ان يبقيها في خلدك بعد ان تفرغ مما تقرأ له، اللهم ألا يكون ذلك مترجماً او عرضاً لكتـاب قديم . فقراءة الكتاب نفسه خير من عرضه .

عيسى ميخائيل سابا

١ — وراء الاسلاك الشائكة

للاستاذ عبدالله المشنوق – ١٠٧ صفحات – دار النشر العربية – بيروت

تعتز المكتبة العربية بان يضيف اليها الاستاذ عبدالله المشنوق كتاباً جديداً في ادب الذكريات ، هذا الادب الماتع الذي يستمد عناصره من مخزون الذاكرة بالطريف من الحوادث والوقـائع .

وفصول « وراء الاسلاك الشائكة » حيوات نابضة عاشها المؤلف تباعاً في معتقل المية ومية بما يكتنفها من أسى وكآبة وما يطبعها من لوعة وحرمان .

وهذه الفصول مترعة الى جانب ذلك بالنكتة الظريفة والدعابة المستملحة والسخرية المرة وهي ميزات يتصف بهـا اسلوب المؤلف فضلاً عن سهولة التعبير ورشاقة الديباجة . كل ذلك تلمسه وانت تقرأ « كيف دخلت المعتقل » و« الليلة الاولى » فلا تملك الا ان تشارك الاديب المعتقل تفجعه على حريته ، تلك الحرية التي يتحسر عليها ويفتقدها اكثر مـا يكون في « يوم العيد وراء الاسلاك » . وفي هذه الغمرة من الاسى يدخل السرور فجأة على قلبك اذ تقرأ « هل تتقن فن الطهي» و« زجاجة من مياه العاصي » فتوقن بان الاستاذ المشنوق قد استعاد طبيعته المرحة بعـد وقت قصير قضاه وراء الاسلاك ، وانه استشعر الحاجة الى الدعابة بعد كبت وجلد طويلين فراح يغدقها بين السطور سائغة في « مشروع زواج في المعتقل» وممزوجة بالسخرية والنقمة في « هنا روستوف» و« في المستشفى » .

ولا بد من الاشارة الى أن دار النشر العربية الزاهرة قد عنيت باخراج هذا الكتاب اشد العنـاية فجمع الى قيمته الادبية أناقة في الشكل قل ان تتوفر في المنشورات الادبية الاخرى .

٢ — عشرة ايام في القاهرة

للاستاذ عبدالله المشنوق – ٨٣ صفحة – منشورات دار الكشاف – بيروت

وهذا الكتاب يحوم ايضاً حول ذكريات المؤلف ، ولكنها هنا ذكريات حبيبة الى قلبه عزيزة عليه . كيف لا وهي متصلة بتلك الايام الجميلة التي سلخها في مصر عام ١٩٣٧ وتشرف فيها بمقابلة جلالة الفاروق المعظم ، وعام ١٩٤٥ الذي شهد مولد جامعة الدول العربية .

ويشارك الاستاذ المشنوق ذكريات ايامه في القاهرة في الفترة الثانية دولة الاستاذ عبد الحميد كرامي الذي كان رئيس وزراء لبنان يومذاك . وهو الذي اوحى للمؤلف « بحكاية الطربوش الملكي » – هدية الملك فـاروق المعظم لسماحته – وافضى اليه « بسر » دعوة سوريا ولبنان الى مؤتمر سان فرنسيسكو .

وفيما عدا ذلك يصف صاحب « بيروت – المساء » ليلة « من

ليالي العمر » قضاها في قصر عابدين العامر ، ويتحدث عن حلقات مصر الادبية وعن صحافة مصر وعن « المقابلة الملكية » السعيدة » التي كلفته من الجهد والعناء مقدار ما اتاحته له من الابتهاج والمسرة .

وتعجب في « عشرة ايام في القاهرة » كما تعجب في « وراء الاسلاك الشائكة » بهذا السرد الشيق يطلعك به مؤلف الكتابين على ذكرياته وآرائه ترفده النكتة البارعة والنقد اللاذع . ولا اغالي اذا قلت ان هذا السرد الممتع غالباً ما يحبس عليك انفاسك ويحفز فيك الرغبة الى متابعة القراءة بشوق ولذة ، وهكذا فانك لا تملك ان تدع أياً من الكتابين الا وقد أتيت عليه كله دفعة واحدة .

وهذا السرد الموفق الى جانب الأداء السهل واللغة البينة يميز اسلوب الاستاذ عبدالله المشنوق من سواه ، هذا الاسلوب الذي يفرض نفسه على القارىء العربي لجزالته وسهولة متناوله ووضوح الفكرة فيه .

وبعد فاننا لن ننتظر ان يدخل الاستاذ المشنوق معتقلاً جديداً او يقوم برحلة ثالثة الى مصر كي يطلع علينا بمثل هذين الكتابين الشيقين ، فان له في ميدان التربية معيناً للكتابة لا ينضب ، وسيمدّ هذا المعين عما قريب في كتابيه التاليين : « تزيد عفاريت » و « ملاعق من فضة » .

رشيد شقير

١ ــ فلاسفة العرب

للاب يوحنا قمير : ابن الفارض – ٥٥ صفحة – ابو العلاء المعري ٧١ صفحة – ابن خلدون – ٨٦ صفحة – المطبعة الكاثوليكية – بيروت

غرض المؤلف الفاضل من نشر هذه السلسلة هو — على حد ما قاله بحق في الدراسة الاولى « ابن الفارض » — هدفنا احياء تراث ، ونشر فكر ، ورسالة حق .

وتشمل هذه السلسلة دراسات قصيرة مستقلة عن اعلام الفلسفة العربية تناولها المؤلف باسلوب ادبي رفيع ، وحرص جهده ان يقدم لطالب الفلسفة صورة واضحة مبسطة عن اعلام الفكر العربي وقد نهج لهذه الدراسات طريقة تساعد على تفهم واستيعاب النقاط الرئيسية المهمة في سياق البحث .

يستهل دراسته عن ابن الفارض بمقدمة موجزة ، ولكنها مفيدة حقاً ، عن معالم الصوفية فيضع نبذاً رئيسية عن كل من : الحسن البصري — الحارث المحاسبي — ذو النون المصري — ابو يزيد البسطامي — الحسين ابن منصور الحلاج ممن نهلوا من ينبوع التصوف واثروا فيه . ثم يستعرض مراحل التصوف الاسلامي الى ان يقف عند ابن الفارض « احسن مثال على صوفي سمت به روح اغنى من ارواح معاصريه ، فظل مضطرباً قلقاً يغالي في التواجد ويصون النفس ، يقول بالحلول ويتبرأ منه ، تارة تختلط لديه الارض والسماء وطوراً تفترقان » .

وبعد ان يدرس حياته وتصوفه يثبت قطعاً مختارة وفق المؤلف في حسن تبويبها ، كما انه لم يغفل عن شرح نصوصها بتعليقات وحواشي تساعد القارىء على تفهم المعاني المستغلقة .

وكذلك شأنه مع ابي العلاء المعري وابن خلدون . ومن الخير ان ننهي . الاب قمير على بحثه القيم عن ابن خلدون ومقدمته فيتناول بالتفصيل : العمران البشري — العمران البدوي — العمران الحضري ، ويستطرد في الاخيرة فيعالجها ويحلل ظواهرها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية الى ان ينتهي بخلاصة قيمة يستخلص منها مبادىء عامة ويناقشها بروح مجردة .

والواقع ان مثل هذه الدراسات تيسر للقارىء الاطلاع على كنوز الفكر العربي ، لا سيما وطريقة تبويبها يجعلها سائغة سهلة . انها خطوة كبيرة موفقة ولا شك ، والذي نتمناه على المؤلف هو ان يواصل هذه الدراسات الممتعة التي تكشف للنشء مدى انطلاق الفكر العربي وتوثبه .

٢ ــ الصراع الفكري في الادب السوري

للاستاذ انطون سعادة – ٩٧ صفحة – منشورات دار الفكر – بيروت

لعل الحافز الذي دفع الاستاذ انطون سعادة الى كتابة هذه الابحاث عدد قديم من مجلة « العصبة » التي تصدر في سان باولو — البرازيل — لفت انتباهه الى مراسلة ادبية بين ثلاثة ادباء سوريين (كذا) هم امين الريحاني ويوسف نعمان معلوف وشفيق معلوف وهي تشتمل على آراء ونظريات في الشعر والشاعر كتبت على اثر صدور ديوان « الاحلام » لشفيق معلوف . واذ شعر المؤلف بالنقص الفكري الذي تضمنته هذه الكتب لم يجد بداً ، بالاضافة الى ما يكتبه في صحيفة « الزوبعة » من مواضيع وابحاث اجتماعية وسياسية تتصل بالحزب السوري القومي الاجتماعي ، من الرد على هذه الكتب ومناقشتها في مقالات نشرت متلاحقة سنة ١٩٤٢ في اعداد « الزوبعة » المذكورة .

يثبت المؤلف اولاً رسائل الشعراء الثلاثة ويأخذ في نقدها ، فيتضح لديه تخبط في فهم حقيقة الشعر وصفته . ثم يقع بين يديه عدد من اعداد « الهلال » فيستعرض آراء في التجديد لكبار الادباء

المعاصرين من الدكتور محمد حسين هيكل الى خليل مطران الى العقاد والى الدكتور طه حسين فيجدها على الاجمال « محاولات غامضة متخبطة مطلقة عن التجديد في الادب . ومن ثم يعرج على آراء ميخائيل نعيمة في تحديده النظرة « الشرقية » ويعقب عليها فيعالجها بتعليل منطقي رصين ويتضح له فسادها حين يقول المؤلف « وكما وجدت المادية في الغرب كذلك وجدت في الشرق، فمسائل الحب المادي والشهوات الجسدية نشأت نشوءاً مستقلاً في الشرق كما في الغرب . وفي الفنون المعبرة عن النفسية الشرقية احسن تعبير نجد الموسيقى التي يسمونها « العربية » او الشرقية قد اتخذت وجهة مادية من الشهوات المادية في حين ان الموسيقى الغربية انتصرت انتصاراً رائعاً وارتفعت فوق فضاء الشهوات الجسدية ارتفاعاً عظيماً » .

ثم يتطرق بعد الكشف عن هذه المناقضات والتخبط لدى كبار الادباء الى سن ادب جديد وشعر جديد « يجد فيه الشاعر نفسه ونفس امته ومجتمعه وحقيقة طبيعته وطبيعة جنسه ومواهبها » ، ولنلاحظ من هذا القول ان الاستاذ انطون سعادة يربط الادب بالقومية وهو ما اطلق عليه « ادب الحياة » ولذلك نراه يهاجم « بنت يفتاح » لسعيد عقل لانها « لا تنطبق على مرمى التجدد الروحي . . وبعيدة عن مواضيع الحياة . . وغير متصلة بنظرة فلسفية يمكنها ان تستغرق امواج النفس السورية . . »

ثم يزيد فيقول انها — بنت يفتاح — اذ اتخذت من وجهة قومية فانها تحمل صبغة اسرائيلية وبذلك تكون قد خدمت اهدافاً مضرة بالمصالح القومية السورية .

وكذلك حين يتناول المؤلف قصيدة « عبقر » لشفيق معلوف فانه يعيب على الشاعر خلو قصيدته من النظرة الفلسفية الى الحياة والكون والفن القادرة على التأسيس وان كان لا ينكر شاعرية الشاعر .

والواقع ان الاستاذ سعادة يرى في الادب وسيلة يهدف بها الى النظرية والمعتقد اللذين يعتنقها الحزب السوري القومي ، فهو يدعو الادباء الى تمجيد القومية السورية وعلى هذه النظرية يناط نجاح الاديب والشاعر . يقول ص٨٦ : « متى اخذ الادباء السوريون الموهوبون ، المدركون سمو النظرة السورية القومية الاجتماعية الى الحياة والكون والفن ، يطلعون على هذه الكنوز الروحية الثمينة ، ازدادوا يقيناً بحقيقة نظرتهم وعظمة اسبابها وبقوة الموحيات الفلسفية والفنية الاصلية في طبيعة امتهم التي يجب فهمها لانشاء ادب فخم » . جميل خالد .

ولعلك مدرك مما ذكرناه اتجاه هذا الكتاب الذي يحمل بين دفتيه ، خليطاً من الآراء منها ما هو خليق بالاعجاب ومنها ما هو قفز في المقطع وارتجال في الرأي .

٣ — امين الريحاني

للاستاذ جميل جبر — ١٢٥ صفحة — مطبعة فاضل وجميل — بيروت

حرص المؤلف في كتابه هذا ان يكون — جهد المستطاع — دراسة وافية صادقة عن امين الريحاني : الرجل والاديب . لذلك استهل كتابه بتوطئة اشار فيها الى الخطوط الكبرى التي ينهج عليها في هذه الدراسة . وهو فضلاً عن تتبعه الدقيق لآثار الريحاني بالعربية والانكليزية لم يفته ان يقوم باتصالات عديدة متنوعة مع رفاق الامين يذكر منهم المؤلف : قسطنطين يني ، جورجي باز ، عمر فاخوري ، حليم دموس ، الياس ابو شبكة ، ميخائيل نعيمة كما انه لم يغفل المحيط الذي نشأ فيه الريحاني فقدم الفريكة ومكث فيها مدة يستوحي ويتصل بالاجواء التي كان لها الاثر في عبقرية الريحاني .

وان من يتتبع فصول هذا الكتاب لا بد له ان يشكر المؤلف على دقته وامانته . فالكتاب تستطيع ان تعده حياة الريحاني برمته، وتستطيع ايضاً ان تلمح من خلال الدراسة الاجواء التي حفزته الى انتاج، ولقاته ان بالعربية او بالانكليزية وكذلك تستطيع ان تلمس الايمان القوي الذي كان يتحلى به الامين فيحمل ادب العرب الى الغرب . وفي الكتاب لمحات موفقة عن اسلوب الريحاني وتطوره .

ويذهب الاستاذ جميل جبر الى ان الريحاني ص٤٤ « كان اديباً عملياً واقعياً يعتقد بان خدمة يؤديها مصلح للغير هي ان يجسم بنفسه مبادىء اصلاحه ويحياها فيأتي نموذجاً ساطعاً لما يرومه في سواه » وانه متأثر بفولتير وروسو وداروين ونيتشه وغاريسون وسبينوزا وبسكال ويحاول في مجرى بحثه ان يتبين صفة الفيلسوف في امين الريحاني فيراها : من سخاء العامة تطلقها هذه البلاد على كل ذي علم واسع وادب مجدد .

على ان هذا لا يبخس الامين اثره في الاصلاح وفي هذه الحركة الكبرى التي سبر غمارها وفي هذه الدعوات المخلصة الى ابناء العرب يكتب من اجلهم ويدافع عن حقوقهم فيرمى بالكفر لانه هاجم التعصب الديني ، ويطوف الآفاق اميركا، فرنسا ، اسبانيا ويحمل الى دنيا العرب بذور القومية العربية .

ومهما يكن فنحن على اعجابنا بالمؤلف وعلى اعجابنا بدراسته نحب ان نشير الى ضعف في الاسلوب فهو يميل احياناً الى الركاكة وقلما يرتفع عن اسلوب الجرائد وكنا نتمنى لو صانه عنه .

احمد عويدات

– تتمة المنشور في صفحة ١٥ –

واخيراً وضع الساق اليمنى المتقدمة كأن صاحبها يهم بالقيام والمسير، وقد اختار موضوعه (موسى) لانه كميكالنجلو لقي من قومه الجحود والنكران فثار مثله وقد سكب في هذا التمثال ما تبقى في نفسه من آلام اذ مثل فيه روح النهضة الفنية والقومية وروح الثورة الانسانية بما يحز فيها من مظالم ورياء وغدر .

ان هذه الرائعة قوية بما تمثل من فكرة انسانية نبيلة وعاطفة جريئة في سبيل الخير الانساني وبما تحمل من هدف يدور على تهذيب النفس البشرية وصقلها بروح الجمال والخير التي هي رسالة الفن الصحيح .

رفائيل سانزيو

ان رفائيل بفنه اللطيف الرقيق جاء متمماً تلك الصفحة الباهرة، صفحة النهضة الفنية .

لقد ولد رفائيل تحت ظل نجم سعيد ، هكذا قال عنه ميكالنجلو . وهذا القول فيه الكثير من الحقيقة . فقد سخرت له الاقدار كل الاسباب ليتقدم وينال الشهرة والجاه . لقد اعطته الحظ والجمال والفتوة، واعتطه الذكاء والمرونة والثروة، ولكنها ضنت عليه بالنفس العالية ، وهذه كانت ولا تزال غير حائلة دون المرء عن تبوء المكان الرفيع والشهرة .

ان الذي رفع رفائيل الى قمة المجد ليس نبوغه لان هناك كثيرين غيره من النوابغ في عصره لم يصلوا الى درجته .

ولكن يرجع ذلك الى ليونته وحسن مداخلته مع كبار الرجال واصحاب النفوذ وكان على درجة من السياسة عكس زميله دهفنشي الحكيم البحاث الذي يحب العزلة وتتبع الحقائق وعكس زميله الآخر ميكالنجلو الصريح تلك الصراحة التي وقفت عثرة في سبيل تقدمه التقدم الذي تستحقه عبقريته وفنه .

ولد هذا النابغة في قرية « اربينو » الضائعة بين جبال « الابنان » عام ١٤٨٣ ودرس على « بروجينو » وكان فتى مجتهداً ذا مطامع كبيرة، فقصد فلورنسا مهد الفن واتصل بالواسطة بالدوقة (بالدو) واخذ منها كتاب توصية لبعض النبلاء واندس في الاوساط العالية ثم اندمج بالوسط الفني لا سيما من ميكالنجلو الذي كان لا يضن عليه باختباراته ومعرفته . وقد بدأ نجمه يتألق ولا سيما عندما عرض احدى لوحاته (حلم الفارس) وسعى كثيراً حتى كانت عرى الصداقة بينه وبين (بالدزار كستليوني) الذي كان ينعم بنفوذ كبير وكان كاتباً وسياسياً مشهوراً . وقد قدم له رفائيل صورته المعروفة في متحف (اللوفر) وكان كستليوني هذا يضيق بصلعته اللامعة . وقد ادرك رفائيل ذلك بحذاقته، ولهذا ألبسه قبعة جميلة سترت تلك الصلعة . فحمله على شكر صنيعه العظيم .



عذراء الكرسي (لرفائيل)

وفي فلورنس ايضاً صنع لوحة (عذراء البستانية) بتأليفها الهرمي وأزرقها الحلو وهيبتها الجذابة وطفلها الممتلىء صحة يرنو اليها بحب وهي تبادله ذلك ولكن بتأثر وتفكير بمستقبل مجهول بينما يوحنا الطفل ينظر ليسوع بخشوع وابتهال .

ان هذه اللوحة تمتاز بحسن التأليف وجمال الحبك والابعاد والموسيقى التي تصل بينها بما لا يدع مجالاً للملل او التردد ، فالتوازن بين الكتل محكم والانسجام بين الفراغ لطيف .

وقد قصد روما سنة ١٥٠٥ وتعرف هناك على ابن بلدته المهندس الشهير (برامنت) فاخذ يستغل علمه ومركزه ، وزار ميكالنجلو مراراً يلاطفه ويتودد اليه ويطلع على اساليبه الفنية واخيراً شمر عن ساعد الجد واخذ في العمل بزخرفة قصر الفاتيكان . وفهم رفائيل عقلية الناس وهو الذي عاش منذ حداثته في القصور بين السياسيين والوجهاء وارباب الاعمال فاتخذ له بطانة من المحبذين المطبلين والتلامذة وكان لا يسير الى عمل الا وفي ركابه عدد منهم .

وبحسن مداخلاته لدى المسيطرين انيط به مركز امين الآثار الفنية وبهذا اتيح له الاطلاع على الكثير من آثار اليونان والرومان التي تزخر بها المدينة القديمة ، ولاحظ بنباهته ان الكلمة النافذة هي للكرادلة واتباعهم فتقرب اليهم فرضوا عنه ومنحوه الالقاب واغدقوا عليه الاموال وحاربوا زملاءه حتى ان شهرته بزت اقرانه وبلغت بلادنا دون سواه عن طريقهم واسوء حظ الفن ان انهاكه بالمداخلات السياسية وغيرها ودخول

الدواوين المستمر حالت كلها دون انقطاعه لفنه. وهكذا رأيناه يضع التصاميم تاركاً تنفيذها لتلامذته وكان اهمهم (جوليو رومانو).

وقد امتاز رفائيل بانه وفق لمزج الفن الوثني الاغريقي بالروح المسيحية بعد ان صار اميناً للآثار، ومن هذا المزج البارع اصبحت (مينوس وكوبيدون) الام تحت ريشته الدينية مريم ويسوع.

ان من يدخل قصور الفاتيكان يراها ملأى بالستائر المزخرفة واللوحات التي تحمل اسم رفائيل وتلامذته، كما ان صوره تزين متاحف ايطاليا وغيرها، ومنها صورة (عذراء الكرسي) وهي على غرار عذراء (بوتشللي) تماماً انما هذه من بنات السماء وتلك من بنات روما الممتلئات شحماً وهناك (عذراء سيستو) في درسون وهي من روائع رفائيل لما اطلقه حولها من جو ورع ضمها وطفلها، وقد بدت العذراء تحمل طفلها بهية الطلعة جلية المظهر خالية من التكلف وزاد فافرغ عليها طابع بنات روما ذوات الجاذبية والتواضع.

وفي لوحة (Velata) و (فرنارينا) او ابنة الخباز، ظهرت عواطف رفائيل الدنيوية، ومثل فيها احدى حسان روما اللواتي احبهن كثيراً وقد اطمأن باله وبلغ المجد فاذابه يمثل هذا الشعور بصورة ابنة الخباز. في نظراتها الحب والاعجاب، وفي وضع يدها على صدرها بهذا الشكل رمز عاطفي ستره بذلك الغطاء المنسدل والثوب الكثير التعاريج، هي ايماءة فحسب اما الوانها ففيها الكثير من الحرارة، بعكس صوره، حتى الثوب الابيض الذي يسربلها فقد جعله دافئاً، وابدى شعرها الاسود الفاحم والعيون الكحلاء البراقة كأنها احدى حسان اسبانيا. وقد تحرر في توسيع الصدر، وبالجملة فانه بهذه الصورة لم يعد ذلك الفتى الورع الذي يتمم ابداً صلاته كاحد الاتقياء. انه غني وذو شهرة وهو لا يزال في ريعان الشباب.

والجدير بالذكر ان الملاحظ يلمس بانه لا اثر لريشة تلاميذه فيها.

وكان رفائيل لطيفاً ولكنه كثير التهكم لاذع الكلام: حدث مرة ان اثنين من زبائنه حاولا نقد صورة له فعابا عليه احمراراً في وجوه القديسين بطرس وبواص، فبادرهما بالرد وبجدة: «ان

عذراء سيستو (لرفائيل)

هذين القديسين وهما الآن في السماء قد احمرت وجوههما خجلاً عندما علما انه قد تسلط على الكنيسة امثالكما.».

وبمناسبة الكلام عن (فورنارينا) الحسناء، نثبت قوله لصديقه الكاتب الذي ساعده على بلوغ المجد (كاستيليوني) وصديقه المفضل ما يلي: «اصارحك باني عندما اريد تصوير الجمال النساني احتاج الى رؤية كثيرات منهن ولكني احتاج اليك ايضاً لتنتقي الاجمل..».

ومن صور رفائيل المشهورة (لافريسك) مما هو موجود في الفاتيكان (مدرسة اثينا) وهي من الروائع التي تحتاج لدرس خاص.

ومما لا بد من ذكره ان تأثير أملوساً طرأ على اسلوب هذا النابغة بعد ان اطلع على الافريسك الذي صنعه ميكالنجلو في (معبد سكستين) فاصبح فنه اقوى وعضله اشد، وابرز هذه الظواهر في افريسك (حريق بورجيا) و (صعود المسيح) ولما مات رفائيل وضعوا جثته تحت هذه الصورة وكانت لم تتم بعد وذلك كي تتمكن روحه من توديعها.

لقد افل هذا الكوكب سنة ١٥٢٠ وهو لم يزل في ميعة الصبا بعدان خلف آثاراً رائعة ومجداً مؤثلاً.

ان النهضة الفنية التي تكلمنا عنها تميزت بالوعي، والفكر الصحيح والايمان والاخلاص الكامل، فلم تهدف فيما عملت الى غير البحث عن الحقيقة والجمال والمثل الاعلى، وحشدت كل ذلك في سبيل الحق والخير والجمال فتمخضت عن حضارة خيرة كريمة، ويوم انحازت حضارتنا عن هذه المبادىء مبادىء الخير والحق والجمال ضلت الطريق السوي. وها نحن اولاء نسمع صرخات العقلاء من الغربيين الحين بعد الحين تناشد ارباب السياسة بالعودة الى هذه المبادىء الشريفة التي قامت عليها الحضارة والتي لا غنى للانسانية عنها مهما حاول تشويهها المنافقون.

وانا لنرجو ان يسير المشرفون على دفة التوجيه في بلاد العرب، على مثل ما قامت عليه كل حضارة صحيحة من تعزيز للفكر ونصرة للمثل العليا التي سيظل اساسها: الحق والخير والجمال.

مصطفى فروخ



٢٥ آذار ١٩٤٨ – رفع ستة عشر نائباً بريطانياً اقتراحاً الى المجلس يطلبون فيه مبادرة الحكومة البريطانية الى دعوة الثلاثة الكبار الى عقد مؤتمر نظراً لتفاقم الحالة السياسية باوروبا.

٢٦ – تجري المفاوضات بين اميركا وانكلترا لاقناع هذه الاخيرة بان تبقى متحملة المسؤولية في فلسطين بعد التاريخ الذي حددته لانهاء الانتداب ريثما تتمكن هيئة الامم المتحدة من تنفيذ الوصاية المؤقتة .

٢٧ – توفي في بغداد دولة حمدي الباجهجي اثر سكتة قلبية بعد عودته من اجتماعات اللجنة السياسية للجامعة العربية في بيروت .

٢٩ ارسلت ايران الى الاتحاد السوفياتي مذكرة احتجاج تتهمها فيها بتهديد استقلالها وسيادتها منذ مئة عام .

٣٠ – طلب مندوب اميركا في مجلس الامن دعوة العرب واليهود الى عقد هدنة عاجلة بفلسطين .

– اسفرت الانتخابات في رومانيا عن فوز ساحق للشيوعيين .

٣١ – فرضت القوات السوفياتية رقابة شديدة على التنقل بين برلين ومناطق المانيا الغربية .

١ نيسان – صرح الرئيس بنيش بأن التحالف بين روسيا وتشيكوسلوفاكيا يهدف الى تأييد السلام واتقاء كل خطر .

– اقترح مندوب سوريا في مجلس الامن انشاء لجنة فرعية مؤلفة من ثلاثة اعضاء للتحقيق في ظروف الحوادث التي أدت الى الوضع الراهن في تشيكوسلوفاكيا .

٢ – اقر مجلس الامن اقتراحي اميركا لدعوة الجمعية العمومية لعقد دورة خاصة في ١٦ الجاري ودعوة العرب واليهود لعقد الهدنة .

– قرر وضع صورة المارشال ستالين في جميع المدارس التشكوسلوفاكية .

٣ – طوق البوليس الاميركي القطار السوفياتي للسكك الحديدية في برلين وقد خول قائد القوات الاميركية حق اطلاق النار عند الضرورة .

٥ – اضرب رجال الشرطة في الاسكندرية واصطدموا برجال الجيش فوقع العديد من القتلى والجرحى .

– بدأ جيش اليرموك اولى عملياته بقيادة المجاهد فوزي القاوقجي محتلا مستعمرة مشمار الهيودية .

٦ – رفض دولة فارس الخوري اقتراح اميركا بشأن انشاء وصاية دولية على فلسطين .

– وقعت معاهدة التحالف بين الاتحاد السوفياتي وفنلندة .

٨ – طلب الرئيس ترومان الى الكونغرس اقراض الامم المتحدة ٦٥ مليون دولار لبناء مقر عام دائم للمنظمة الدولية في نيويورك .

٩ – استشهد المجاهد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل بفلسطين .

١٠ – وافق مجلس الامن الدولي على ضم بورما الى عضوية هيئة الامم المتحدة .

– هاجت الجماهير في كولومبيا على اثر مقتل الزعيم اليساري غايتان وهجمت على دور الحكومة مشعلة النار في ٣٥ بناية منها ووقع العديد من القتلى والجرحى .

١١ – اصطدم فصيل من الجيش الاردني ببعض رجال الهاغانا فأسفر الاصطدام عن مقتل ٥٠ يهودياً و٣ اردنيين .

١٤ – رفضت موسكو اقتراح الدول الغربية بشأن اعادة تريستا لايطاليا .

١٥ – توصل الحكام العسكريون الثلاثة في المانيا الى تنسيق سياستهم باشتراك المانيا في مشروع مارشال نهائياً .

– اصطدمت الجماهير الشيوعية الايطالية بالبوليس فسقط ١٥ جريحاً شيوعياً .

– تخوض قوات التحرير العربية اعنف المعارك في قطاع مستعمرة مشمار هاعيمك .

١٦ – انتصرت القوات العربية انتصاراً باهراً في معركة مشمار هاعيمك .

– افتتحت الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة دورتها الاستثنائية لبحث القضية الفلسطينية مجدداً وانتخب مندوب البرازيل رئيساً لها .

– وقعت في باريس الست عشرة دولة اتفاقية التعاون الاقتصادي لانعاش اوروبا .

١٧ – اعيد انتخاب فخامة شكري القوتلي رئيساً للجمهورية السورية .

– ذهب الايطاليون الى صناديق الاقتراع لانتخاب اول مجلس للجمهورية .

– اقر مجلس الامن اقتراح الهدنة في فلسطين بين العرب واليهود .

١٩ – اتهم الشيوعيون في برلين الولايات المتحدة انها تنشيء جيشاً المانياً جديداً تحت قيادة المرشال فون رونشتات قائد القوات الالمانية في معركة « الاردين » سنة ١٩٤٤ .

– اعلنت لجنة الطاقة الذرية الاميركية ان السلاح الذري الاميركي قد تحسن كثيراً بعد التجارب الاخيرة التي جرت في جزر المحيط الهادي في خليج بايكيني .

٢٠ – اعلن دي غاسبيري رئيس الوزارة الايطالية بلهجة ملؤها الحماسة فوز حزبه في الانتخابات ، وهو الحزب المسيحي الديمقراطي وقد اكد دي غاسبيري بانه لن يدعو الشيوعيين الى الاشتراك في حكومته الجديدة .

٢١ – قامت في ايطاليا عدة مظاهرات يسارية احتجاجاً على نتيجة الانتخابات النيابية .

وقد حولت الحكومة نظرها الى امكانية قيام الشيوعيين بالاضطرابات وباللجوء الى الجبال لاثارة القلاقل فارسلت الحكومة طائرات الاستكشاف والقوات البرية للمراقبة .

٢٢ – اتخذ مجلس الامن قراراً يتعلق بالنزاع الناشب بين الهند والباكستان حول ضم ولايتي كشمير وجامو الى احدى دولتي الدومنيون يقضي باجراء استفتاء حر يقول فيه ابناء هاتين الولايتين كلمتهم .

– اسفرت حوادث كولومبيا عن مقتل ١٥٠٠ شخص وجرح ثلاثة آلاف كما يقول الصليب الاحمر استناداً الى الاحصاءات الرسمية وقد قتل في بوغوتا وحدها ١٢٠٠ شخص .

– بعد الفظائع التي ارتكبها اليهود في حيفا ينتظر ان تزحف الجيوش النظامية العربية لاحتلال فلسطين .

٢٣ – اصدر السنيور دي غاسبيري رئيس الوزارة الايطالية بياناً حول الانتخابات قال فيه : ان ايطاليا قد ضربت في انتخاباتها اكبر مثل للحرية في العالم . وقد اجابه السنيور توغلياتي رئيس الحزب الشيوعي بأن الانتخابات لم تكن حرة وان تدخلاً اجنبياً قد سيطر عليها .